

(٣٣) من تراث الكوثري

دَفْعُ شُبُهَةٍ مِّنْ شُبُهَةٍ وَتَمَرُّدٍ

ونسب ذلك إلى السيد الجليل

الإمام أحمد

تصنيف

الإمام الكبير الحجة تقي الدين أبي بكر

الحصني الدمشقي

المتوفى سنة ٨٢٩ هـ رضى الله عنه

على النسخة الخطية الوحيدة لفضيلة الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

الناشر

المكتبة الزهرية للتراث

٩ درب الأتركة خلف الجامع الأزهر الشريف - ت: ٨٤٧-٢٥١٢

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

دَفْعُ ثُبَّةٍ مِّنْ ثُبَّةٍ وَتَمَرْدٍ

ونسب ذلك إلى السيد الجليل

الإمام أحمد

تصنيف

الإمام الكبير الحجة تقي الدين أبي بكر

الحصنى الدمشقي

المتوفى سنة ٨٢٩ هـ رضى الله عنه

على النسخة الخطية الوحيدة لفخيلة الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

٥١٢٠٨٤٧ ☎

رقم الإيداع: ٢٢٠٥ / ٢٠١٠

الترقيم الدولي: 9-235-315-977-978

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة

الإمام الحصني مؤلف هذا الكتاب

إنا نذكر ترجمة هذا الإمام رضى الله عنه ليعرف القارئ من ترجمته مقدار كتابه هذا فأنا نرى أن الكتب أشبه بالأبناء فمن لا والد له من الأبناء ضائع لا قيمة له حتى في نظر نفسه ومن له والد حقير كان حقيراً كوالده ومن جل والده جل ويزداد عظماً كلما عظم والده ، هذا شئ لا نزاع فيه . وهكذا الكتب إذا رأى الناس كتاباً لا يعرف مؤلفه ارتفعت ثقتهم به وظنوا به الظنون وإذا عرف المؤلف نظروا إليه وبمقدار عظمتهم في نفوسهم علماً وعملاً تكون ثقتهم بكتابه واستفادتهم منه . وأعدل حكم على الرجل هو الذى يصدر عليه من معاصريه الناظرين إليه المحيطين علماً بكل أحواله مع ما في المعاصرة من منافسات ومنازعات وأحقاد يهيجها الحسد الذى يدفن الفضائل وينشر الرذائل فإذا صدر مع هذا حكم جليل من معاصر دل ذلك على أن الحقيقة أرفع وأسمى . رفع سؤال إلى علماء عصره رضى الله عنه عن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم واسمع ما قاله عنه أحد معاصريه قال ما نصه : فأجاب شيخنا وسيدنا ومولانا العارف الورع العابد الزاهد المحقق المدقق شيخ الإسلام ومفتى الأنام وعلم الأعلام الربانى ، والصدر النورانى ، منقح الألفاظ ، ومحقق المعانى . بحر العلوم ، والمبرز على ذوى الفهوم . داعى الخلق للحق . الناصح لكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم بقية السلف ، وزين الخلف شافعى زمانه

وسيبيويه أوانه ، القطب الكبير ، والغوث الشهير والعلم المنير ،
والعلامة النحرير ، والمجتهد الأخير ، البحر الزاخر ، والسيف
الباتر ، زبدة المتقدمين ، وعمدة المتأخرين ، ومفزع العباد ، وحجة
الله على العباد وصمصامة أهل الزيغ والفساد ، رحلة وقته ووحيد
عصره وفريد دهره . نسيج وحده جامع أشتات العلوم والفضائل ،
القائم في نصرة الحق بالبراهين والدلائل . قدوة أهل الأصول
والفروع ونائر فرائد المنقول والمسموع الحبيب النسيب والمتصل
في الدين بالمصطفى الحبيب الشيخ تقى الدين أبو بكر ابن محمد
ابن عبد المؤمن بن حريز بن سعيد بن داود بن قاسم ابن علي
ابن ناسي بن جوهر بن علي ابن أبي القاسم بن عبد الله ابن عمر
ابن موسى بن يحيى علي الأصغر بن محمد التقى ابن حسن
العسكري بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن
محمد الباقر بن علي زين العابدين بن محمد الحسين ابن علي ابن
أبي طالب الحسيني الشافعي الأشعري الحصني قدس الله روحه .
ونور ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحة ،
وضاعف له جزيل هباته ، وأعاد علينا وعلى المسلمين من
بركاته ونفعنا بعلومه الجمة وفوائده ، كما حلّى أجساد الدهر بقلائد
فرائده آمين . بجاه سيد الأولين والآخرين ١ هـ . من
الفتاوى السهمية في ابن تيمية . بمجموعة (٣٣ دولا ب ١٥) من
مكتبة صاحب الفضيلة أستاذنا الشيخ محمد بخيت المطيعي حفظه
الله وهو وصف لم يدع قولاً لقاتل في هذا الإمام الهمام رضى الله
عنه ورضى عنا به : ولد رضى الله عنه بدمشق سنة اثنتين
وخمسين وسبعمائة من الهجرة الشريفة وبها أخذ العلم عن أئمة

عصره وأخذ عنه أئمة ، وكان من الزهد في الدنيا بدرجة لا تقل عن درجات سلف الأمة الصالحين وكان لتقواه وخشيته لربه وقوراً مهيباً حتى عند الأكابر من ولاة الأمور وكان إذا رأى ما لا يرضاه ربه صدع بالحق لا يخاف في الله لومة لائم . لم يقتصر في بث علومه على ما كان يلقيه من جواهر المعارف والآداب في دروسه حال حياته بل ألف من الكتب الجلية الكثيرة ما يجعل نفعه العلمي خالداً .

فمن مؤلفاته شرح صحيح مسلم في ثلاث مجلدات ، وشرح التنبيه لأبى إسحاق الشيرازى في الفقه الشافعى في خمسة مجلدات نافع جداً . وشرح منهاج النووى في خمسة مجلدات كذلك ، وتفسير آيات متفرقات في مجلد . وقواعد الفقه على المذهب الشافعى في مجلدين ، وتلخيص مهمات الأسنوى في مجلدين ، وتنبيه السالك على مضار المسالك في ستة مجلدات ، وأسنى المسالك لسير السالك في مجلد ، وقمع النفوس في مجلد ، وشرح أسماء الله الحسنى في مجلد ، وشرح الأربعين النووية في مجلد ، وسير نساء السلف العابدات في مجلد ، وتلخيص تخريج أحاديث الاحياء في مجلد ، وأحوال القبور في مجلد ، وتأديب القوم في مجلد ، وشرح الهداية في أوهام الكفاية في مجلد ، وشرح مختصر أبى شجاع في مجلد ، قال السخاوى حسن للغاية وقد طبع في العام الماضى فكاد يطرب الشافعية فرحاً طلبة وعلماء ، وتقرر رسمياً أن يقرأ بالأزهر لجلالته . (ودفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام احمد) . وهو هذا الكتاب الذى يجل عن نظير في موضوعه كيف لا وقد أتى على بناء مخالفة من أساسه .

مات رحمة الله عليه ليلة الأربعاء منتصف شهر جمادى الثانية سنة تسع وعشرين وثمانمائة وحملت جنازته على أعناق الأفاضل وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً لم يتخلف عنه أحد من أهل دمشق حتى الحنابلة الذين كانت له عليهم حملات ثم حملات ، ومع كونه وصى أن يخرج بجنازته بفلس ذهب من غفل عن جنازته من الناس إلى قبره وصلوا عليه غير مرة ودفن عند والده وأقاربه بالجهة الجنوبية للجامع الأموى سقى الله روضة ضمته غيوث فضله وإحسانه وكرمه ورضوانه . وقد عني بترجمته كثير منهم المقرئى فى العقود وابن خطيب الناصرية فى تاريخ حلب ، وابن حجر فى أنباء الغمر ، والتقى ابن قاضى شعبة فى طبقات الشافعية ، والرضى القرى فى بهجة الناظرين ، والسخاوى فى الضوء اللامع وغيرهم . فمن أراد أن يعرف من هو الإمام التقى الحصنى علماً وعملاً فليرجع إلى تلك التراجم رضى الله عنه وعن جميع العلماء العاملين خصوصاً من أسهروا عيونهم وأتعبوا أبدانهم ووقفوا أفكارهم على نصر دين ربهم والذود عن حياضه . إن أحبوا فالله ، وإن أبغضوا فالله ، جعلنا من محبيهم السالكين سبيلهم ، اللهم آمين اللهم آمين .

* * *

من عجائب الصدف أننا ما كدنا ننتهى من طبع آخر ملزمة من الكتاب البديع (غوث العباد ببيان الرشاد) لحضرة صاحب الفضيلة ملك البيان وحامل لواء البرهان الأستاذ الشيخ مصطفى أبو سيف الحمamy أحد العلماء وخطيب المسجد الزينبي ، حتى ساق الله تعالى إلينا نسخة خطية جلية من كتاب (دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد) للإمام الهمام أبى بكر تقى الدين الحصنى رضى الله عنه . عنى حضرة صاحب الفضيلة المرشد الجليل والعلامة النبيل الشيخ سلامة العزامى النقشبندى باستنساخها ونقلها من نسخة أخرى خطية ليس في القطر المصرى سواها (على ما نعلم) هى لحضرة صاحب الفضيلة الباحثة المعروف والجهبذ الشهير الشيخ محمد زاهد الكوثرى ، ومن فضل الله علينا أن هيا لنا من الظروف ما مكنا بعد قليل من النسخة الأصلية التى بيد الشيخ الكوثرى ، فرأينا أن يكون الجمع من النسخة الفرعية والمقابلة في التصحيح على النسخة الأصلية ليخرج الكتاب كما نحب له من الصحة والإتقان ، وأنا نقدمه بيد الفرح والسرور إلى إخواننا في جميع أنحاء العالم الإسلامى راجين أن يكون ذلك خدمة لهم ولديننا الحنيف الذى يعيننا ويهمننا كثيراً أن نعيش ونموت في خدمته (وربنا المستول) وهو أكرم الأكرمين أن يحقق لنا هذه الأمنية الغالية .

* * *

قال حضرة صاحب الفضيلة العلامة صاحب النسخة الفرعية
ما نصه :

{ سبب تأليف هذا الكتاب }

قال العلامة التقى محب السنة والذاب عنها بكل ما استطاع في
هذا العصر الشيخ محمد زاهد الكوثري : في ظهر الأصل المقابل
به بخط الحافظ محمد بن طولون (فائدة) سبب تكلم المؤلف رحمه
الله تعالى في ابن تيمية وأتباعه ما نقل له عن الشيخ العلامة
ناصر الدين التتكري أنه اجتمع ببعض من ينتسب للحنابلة قال
فرأيته يقول بمسألة التناسخ ولا يقطع لأطفال المسلمين بالجنة
وسمع منه هذا القول شخص آخر ونقل للشيخ المؤلف أيضاً أن
شخصاً قال عند هذا المبتدع المشار إليه يا جاه محمد فقال لا تقل
يا جاه محمد وكذا نقل له عن شخص آخر قال ذلك عنده فقال لا
تقل يا جاه محمد فإنه قد بقي قفة عظام نعوذ بالله العظيم من هذه
الزلة الجسيمة وسمع هذا الكلام أيضاً بن أخى الشيخ المؤلف
فاجتمع مع عمه فتذكرا ما وقع فيه الجاهل المشار إليه ثم قال
يا عم لو تكلمت في ذلك فقال أنا مشغول بنفسى فقال ما يخلصك
هذا عند الله عز وجل كيف يتعرض هذا الجاهل للرسول صلى الله
عليه وسلم وحط مرتبته ومراتب النبيين ويتكلم في الله بما لا يليق
بجلاله وغير ذلك مما هو زندقة لا يخلصك هذا عند
الله مع تمكّنك من ردع هذا الزائغ عن تنزيه الله وتعظيم
رسوله عليه الصلاة والسلام فقال المؤلف رحمه الله
تعالى اتئونى بشئ من كلام هذا الرجل انظر فيه فإذا
تكلمت تكلمت على بصيرة فأتى بأشياء من كلامه فلما رأى

كلامه تكلم بما تكلم رحمه الله ، قال شيخنا النعيمي ومن خطه نقلت (نقلتها من خط شيخنا شهاب الدين بن قرا تلميذ المؤلف ملخصاً^(١) لها) انتهى ما وجدته بخط ابن طولون في ظهر الأصل المذكور . وترجمة المصنف مبسوبة في كتاب الضوء اللامع في القرن التاسع للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، وفي طبقات الشافعية للتعقّى ابن قاضى شهبه ، وفي طبقات الرضى الغزى العامرى وله مؤلفات ممتعة كشرحه على صحيح مسلم في ثلاث مجلدات وشرحه على التتبيه في خمس مجلدات وشرحه على المنهاج كذلك وطبع حديثاً شرحه على مختصر أبى شجاع في مجلدين وكان من مفاخر الشافعية في عصره زهداً وعلماً وسيرة وسنستوفى فى ترجمته إن شاء الله تعالى عند قيامنا بشرحه .

* * *

(١) فابن طولون هذا حافظ جليل له من المؤلفات ما يقرب من ستمائة مؤلف وتوفى سنة ٩٥٣ سنة تسعمائة وثلاث وخمسين وشيخه عبد القادر النعيمي ، له مؤلفات جليلة وقد ترجم فى الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة : وابن قرا هو الشهاب الخوارزمى المحدث مترجم فى الضوء اللامع قاله صاىء الأصل
اهـ مصححه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد الأولين والآخرين ، وأكرم السابقين واللاحقين ، وسلم ومجد وكرم ، سبحان من بيده الضر والنفع ، والوصل والقطع ، والتفرقة والجمع ، والعطاء والمنع ، وفق من أحب لتنزيهه فحمى موضع نظره منه وكذا السمع ، وخذل من أبغض فجرى لشقاوته على ما اعتاده وألفه من ردئ الطبع ، فهب على الأول نسيم إسعاده وعلى الثانى ريح إيعاده . لصدع قلبه بتمويه العدو فيآله من صدع ، تقدر وتمجد بعز كبريائه وجلاله ، وتفرد بأوصاف عظمتة وكماله كما عم بجوده وإفضاله ونواله . تقدر وتبارك عن مشابهة العبيد وتنزهه عن صفات الحدوث * فمن شبه فقد شابه السامرة وأبا جهل والوليد . ومن عطل ما ثبت له من صفاته بالأدلة القاطعة فهو عن الحق مائل ومحيد^(١) . وكلا القسمين سفيه وشقى وغير رشيد . ومن ورائهما عذاب شديد * ونال خلع الرضوان في دار الأمان من نزه مع تزايد الكرامات ولديه مزيد * فشتان بين من هو رافع في رياض السلامة ، ونزل الكرامة ، في دار المقامة وبين المطرود المبعود^(٢) وقد حق عليه الوعيد * (وبعد) فإن سبب وضعى لهذه الأحرف اليسيرة ما دهمنى من الحيرة من أقوام أخباث السريرة . يظهر الانتماء إلى مذهب السيد الجليل الإمام أحمد . وهم على

(١) كان ينبغي أن يقول حائد : ولعله اختار ذلك مراعاة للسجع ا هـ مصححه

(٢) اسم المفعول مبعد فيقال فيه كما قيل فيما قبله ا هـ مصححه

خلاف ذلك والفرد الصمد . والعجب أنهم يعظمونه في الملاء ويتكاثمون إضلاله مع بقية الأئمة وهم أكفر ممن تمرد وجحد . ويضلون عقول العوام وضعفاء الطلبة بالتصويبه الشيطاني وإظهار التعبد والتكشف وقراءة الأحاديث ويعتنون بالمسند . كل ذلك خزعات منهم وتمويه وقد انكشف أمرهم حتى لبعض العوام وبهذه الأحرف يظهر الأمر إن شاء الله تعالى لكل أحد إلا لمن أراد عز وجل إضلاله وإيقائه في العذاب السرم . ومن قال بنفى ذلك أى بنفى خلود العذاب وسرمديته وهو ابن تيمية وأتباعه فقد تجرأ على كلام الغفور قال تعالى : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور ﴾ . وعلى العليم الحكيم في قوله تعالى : ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ . والآيات في ذلك كثيرة عموماً وخصوصاً ومنها قوله تعالى : ﴿ ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ﴾ . والغرام المستمر الذى لا ينقطع فلو انقطع قدر نفس لا يسمى غراماً . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وجاء ربك ﴾ . قال الإمام أحمد معناه جاء أمر ربك . قال القاضي أبو يعلى ، قال الإمام أحمد المراد به قدرته وأمره وقد بينه في قوله تعالى : ﴿ أو يأتى أمر ربك ﴾ . يشير إلى حمل المطلق على المقيد وهو كثير في القرآن والسنة والإجماع وفي كلام علماء الأمة لا يجوز عليه الانتقال سبحانه وتعالى . ومثله حديث النزول وممن صرح بذلك الإمام الأوزاعي والإمام مالك لأن الانتقال والحركة من صفات الحدث والله عز وجل قد نزه نفسه عن ذلك ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ استوى على العرش ﴾ .

فإذا سأل العالمى عن ذلك فيقال له الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وسنوضح ذلك إن شاء الله تعالى وإنما أجاب الإمام رببعة بذلك وتبعه تلميذ مالك لأن الاستواء الذى يفهمه العوام من صفات الحدث وهو سبحانه وتعالى نزه نفسه عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ فمتى وقع التشبيه ولو بزنة ذرة جاء الكفر بالقرآن قل الأئمة وإنما قيل السؤال بدعة لأن كثيراً ممن ينسب إلى الفقه والعلم لا يدركون الغوامض في غير المنتشابه فكيف بالمنتشابه آيات المنتشابه وأحاديثه لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى والقرآن والسنة طافحان بتنزيهه عز وجل ومن أسمائه القدوس وفي ذلك المبالغة في التنزيه ونفى خيال التشبيه وكذا في قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ إلخ لما فيها من نفى الجنسية والبعضية وغير ذلك مما فيه مبالغة في تنزيهه سبحانه وتعالى وكان الإمام أحمد رضى الله عنه يقول أمروا الأحاديث كما جاءت وعلى ما قال جرى كبار أصحابه كإبراهيم الحربى وأبى داود والأثرم ومن كبار أتباعه أبو الحسين المنادى وكان من المحققين وكذلك أبو الحسن التميمى وأبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب وغيرهم من أساطين الأئمة في مذهب الإمام أحمد وجروا على ما قاله في حالة العافية وفي حالة الابتلاء . فقال تحت السياط فكيف أقول ما لم يقل وقال في آية الاستواء هو كما أراد فمن قال عنه إنه قال في الاستواء إنه من صفات الذات أو صفات الفعل أو أنه قال إن ظاهره مراد فقد افترى عليه وحسيبه الله تعالى فيما نسب إليه مما فيه إلحاقه عز وجل بخلقه الذى هو كفر صراح لمخالفته كلامه فيما نزه نفسه به سبحانه وتعالى عما

يقولون ومنهم ابن حامد والقاضى تلميذه وابن الزاغونى وهؤلاء ممن ينتمى إلى الإمام ويتبعهم على ذلك الجهلة بالإمام أحمد وبما هو معتمده مما ذكرت بعضه وبالغوا في الافتراء ، إما لجهلهم وإما لضغينة في قلوبهم كالمغيرة ابن سعيد وأبى عبد الله محمد الكرامى لأنهم أفراخ السامرة في التشبيه ويهود في التجسيم وحرف المغيرة ومعه خمسة من أتباعه كما أذكره من بعد ، قال ابن حامد في قوله تعالى : ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ . وفى قوله تعالى : ﴿ كل شئ هالك إلا وجهه ﴾ . نثبت لله وجهاً ولا نثبت له رأساً وقال غيره يموت إلا وجهه وذكروا أشياء يقشعر الجسد من ذكر بعضها . قال أبو الفرج الجوزى : رأيت من تكلم من أصحابنا في الأصول بما لا يصلح وانتدب للتصنيف وهم ثلاثة ابن حامد وصاحبه القاضى وابن الزاغونى صنفوا كتباً شأنوا بها المذهب وقد رأيتهم نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على صورته فأثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات وعينين وفماً ولهوات وأضراساً ويدين وأصابع وكفاً وخنصراً وإبهاماً وصدراً وفخذاً وساقين ورجلين وقالوا ما سمعنا بذكر الرأس وقالوا يجوز أن يمس ويمس ويدنى العبد من ذاته . وقال بعضهم ويتنفس ثم أنهم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل وقد أخذوا بالظواهر في الأسماء والإضافات فسموا الصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعانى الواجبة لله سبحانه وتعالى ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث ولم يقنعوا أن يقولوا صفة فعل حتى

قالوا صفة ذات ثم لما أثبتوا أنها صفات قالوا لا نحملها على ما توجبه اللغة مثل اليد على النعمة أو القدرة ولا المجئ على معنى البر واللفظ ولا الساق على الشدة ونحو ذلك بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة والظاهر هو المعهود من نعوت الأدميين والشئ إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن فإن صرف صارف حمل على المجاز وهم يتخرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون نحن أهل السنة وكلامهم صريح في التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام على ذلك لجهلهم ونقص عقولهم وكفرواً تقليداً وقد نصحت للتابع والمتبوع ثم أقول لهم على وجه التوبيخ يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل وأتباع وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول (كيف أقول ما لم يقل) هل بلغكم أنه قال إن الاستواء من صفة الذات المقدسة أو صفة الفعل فمن أين أقدمتم على هذه الأشياء وهذا كله ابتداع قبيح بمن ينكر البدعة ثم قلت أن الأحاديث تحمل ظاهرها . وظاهر القدم الجارحة وإنما يقال تمر كما جاءت ولا تقاس بشئ فمن قال استوى بذاته فقد أجراه مجرى الخسيات وذلك عين التشبيه فاصرفوا بالعقول الصحيحة عنه سبحانه وتعالى ما لا يليق به من تشبيه أو تجسيم وأمروا الأحاديث كما جاءت من غير زيادة ولا نقص فلو أنكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت لما أنكر عليكم أحد ولا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي أعني الإمام أحمد ما ليس منه فلقد كسوتهم هذا المذهب شيئاً قبيحاً حتى لا يقال عن حنبلي إلا مجسم ثم زينتم مذهبكم بالعصبية ليزيد وقد علمتم أن صاحب المذهب

أجاز لعنته وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أئمتكم لقد شان المذهب شيئاً قبيحاً لا يغسل إلى يوم القيامة فالحاصل من كلام ابن حامد والقاضي وابن الزاغوني من التشبيه والصفات التي لا تليق بجناب الحق سبحانه وتعالى هي نزعة سامرية في التجسيم ونزعة يهودية في التشبيه وكذا نزعة نصرانية فإنه لما قيل عن عيسى عليه السلام أنه روح الله سبحانه وتعالى اعتقدت النصارى أن الله صفة هي روح ولجت في مريم عليها السلام وهؤلاء وقع لهم الغلط من سوء فهمهم وما ذاك إلا أنهم سمو الأخبار أخبار صفات وإنما هي إضافات وليس كل مضاف صفة فإنه سبحانه وتعالى قال : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ وليس لله صفة تسمى روحاً فقد ابتدع من سمى المضاف صفة ونادى على نفسه بالجهل وسوء الفهم ثم أنهم في مواضع يؤولون بالتشهي وفي مواضع أغراضهم الفاسدة يجرون الأحاديث على مقتضى العرف والحس ويقولون ينزل بذاته وينتقل ويتحرك ويجلس على العرش بذاته ثم يقولون لا كما يعقل يغالطون بذلك من يسمع من عامي وسيئ الفهم وذلك عين التناقض ومكابرة في الحس والعقل لأنه كلام متهافت يدفع آخره أوله وأوله آخره وفي كلامهم (ننزهه غير أننا لا ننفي عنه حقيقة النزول) وهذا كلام من لا يعقل ما يقول ومثل قول بعضهم المفهوم من قوله : ﴿ هو الله الحي القيوم ﴾ . في حقه هو المفهوم في حقنا إلا أنه ليس كمثله

شئ فأنظر أرشدك الله كيف حكم بالتشبيه المساوى ثم عقبه بهذا التناقض الصريح وهذا لا يرضى أن يقوله من له أدنى رؤية ولهم من مثل هذه التناقضات ما لا يحصى من التناقض الواضح في دعواهم في قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ . أنه مستقر على العرش مع قولهم في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مِنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ . إن من قال إنه ليس في السماء فهو كافر ومن المحال أن يكون الشئ الواحد في حيزين في آن واحد وفي زمن واحد ومن المعلوم أن في للظرفية ويلزم أنه سبحانه وتعالى مظروف تعالى عن ذلك وفي البخارى من حديث أنس أنه عليه الصلاة والسلام رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى رأى في وجهه فقام فحكها بيده فقال إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجى ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة وفيه من حديث ابن عمر رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام رأى نخامة في جدار القبلة فحكها ثم أقبل على الناس فقال إذا كان أحدكم يصلى فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى . وفى صحيح مسلم وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام رأى نخامة في القبلة فقال ما بال أحدكم يستقبل ربه أمامه يحب أحدكم أن يسقبل فيتتخع في وجهه . وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : (يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم أنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم ، وفى رواية

والذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) وفي الصحيح : (أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى) وحديث المريض أما لوعده لوجدتني عنده . وقال تعالى : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن ﴾ . وقال تعالى : ﴿ نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ . وفي الترمذى من حديث العنان وفيه ذكر الأرضين السبع وأن بين كل أرض والأخرى كما بين السماء والأرض ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : (والذى نفسى بيده لو دلى أحدكم بحبل لوقع على الله سبحانه وتعالى) ومثل هذه الأدلة كثيرة وكلها قاضية بالكون السفلى دون العلوى واعلم أن الاستواء فى اللغة على وجود وأصله افتعال من السواء ومعناه أى السواء العدل والوسط وله وجوه فى الاستعمال منها الاعتدال . قال بعض بنى تميم : استوى ظالم العشيرة والمظلوم أى اعتدلا ومنها إتمام الشئ ومنه قوله تعالى : ﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾ . ومنها القصد إلى الشئ ومنه قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ . أى قصد خلقها ومنها الاستيلاء على الشئ ومنه قول الشاعر :

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق
وقال آخر :

إذا ما غزا قوماً أباح حريمهم وأضحى على ما ملكوه قد استوى

ومنها بمعنى استقر ومنه قوله تعالى : ﴿ واستوت على الجودي ﴾ . وهذه صفة المخلوق الحادث كقوله تعالى : ﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ﴾ . وهو نزه نفسه سبحانه عن ذلك في كتابه العزيز في غير ما موضع . وقطع المادة في ذلك أن المسألة علمية وكفى الله المؤمنين القتال والجدال . قال أبو الفرج بن الجوزي وجميع السلف على إمرار هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل . قال عبد الله ابن وهب كنا عند مالك ابن أنس ودخل رجل فقال يا أبا عبد الله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استواؤه فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع . وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجه فأخرج . كان ابن حامد يقول المراد بالاستواء القعود وزاد بعضهم استوى على العرش بذاته فزاد هذه الزيادة وهي جراءة على الله بما لم يقل . قال أبو الفرج وقد ذهب طائفة من أصحابنا إلى أن الله عز وجل على عرشه ما ملأه وأنه يقعد نبيه معه على العرش . ثم قال والعجب من قول هذا ما نحن مجسمة وهو تشبيه محض تعالى الله عز وجل عن المحل والحيز لاستغنائه عنهما ولأن ذلك مستحيل في حقه عز وجل ولأن المحل والحيز من لوازم الأجرام ولا نزاع في ذلك وهو سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك لأن الأجرام من صفات الحدث وهو عز وجل منزّه عن ذلك شرعاً وعقلاً بل هو أزلي لم يسبق بعدم بخلاف الحادث . ومن المعلوم أن الاستواء إذا كان بمعنى الاستقرار والقعود لا بد فيه من المماساة . والمماساة إنما تقع بين

دفع شبه من شبه وتمرد

جسمين أو جرمين والقاتل بهذا شبه وجسم ما أبقى في التجسيم والتشبيه بقية كما أبطل دلالة « ليس كمثله شئ » . ومن المعلوم في قوله تعالى : « لتستووا على ظهوره » أنه الاستقرار على الأنعام والسفن ذلك من صفات الأدميين فمن جعل الاستواء على العرش بمعنى الاستقرار والتمكن فقد ساوى بينه عز وجل وبين خلقه وذلك من الأمور الواضحة التي لا يقف في تصورهما بليد فضلاً عما هو حسن التصور جيد الفهم والذوق وحينئذ فلا يقف في تكذيبه « ليس كمثله شئ » وذلك كفر محقق . ثم من المعلوم أن الاستواء من الألفاظ الموضوعية بالاشتراك وهو من قبيل المجمل فدعواه أنه بمعنى الاستقرار في غاية الجهل لجعله المشترك دليلاً على أحد أقسامه خاصة فالحمار مع بلادته لا يرضى لنفسه أن يكون ضحكة لجعله القسم قسيماً فمن تأمل هؤلاء الحمقى وجدهم على جهل مركب يحتجون بالأدلة المجملة التي لا دليل فيها قطعاً عند أهل العلم ويتركون الأدلة التي ظاهرها في غاية الظهور في الدليل على خلاف دعواهم بل بعضها نصوص كما قدمته في حديث النخامة وغيرها فتنبه لذلك لتبقى على بصيرة من جهل أولئك . ومن المعلوم أنه عز وجل واجب الوجود كان ولا زمان ولا مكان وهما أعنى الزمان والمكان مخلوقان وبالضرورة أن من هو في مكان فهو مقهور محاط به ويكون مقدرأ ومحدوداً وهو سبحانه وتعالى منزّه عن التقدير والتحديد وعن أن يحويه شئ أو يحدث له صفة تعالى الله عما يصفون وعما يقولون علواً كبيراً . فإن قيل ففي الصحيحين من حديث شريك بن أبي نمر عن أنس رضي الله عنه أنه ذكر المعراج

وفيه فعلاً بى الجبار تعالى فقال وهو في مكانه يا رب خفف عنا (الحديث) فالجواب أن الحافظ أبا سليمان الخطابي قال أن هذه لفظة تفرد بها شريك ولم يذكرها غيره وهو كثير التفرد بمناكير الألفاظ والمكان لا يضاف إلى الله سبحانه وتعالى إنما هو مكان النبي ﷺ ومقامه الأول الذى أقيم فيه وفي الحديث : (فاستأذن على ربى وهو في داره) يوهم مكاناً وإنما المعنى في داره التى دورها لأوليائه وقد قال القاضى أبو يعلى في كتابه (المعتمد) أن الله سبحانه وتعالى وتقدس لا يوصف بمكان فإن قيل يلزم من كلامكم نفى الجهات ونفيها يحيل وجوده فالجواب أن هذا السؤال ساقط فيه تمويه على الأغبياء يجرون الجهات المتعلقة بالآدميين بالنسبة إلى الله عز وجل عن ذلك . وأيضاً إن كان الموجود يقبل الاتصال والانفصال فمسلم فأمّا إذا لم يقبلهما فليس خلوه من طرفى سوى النقيص بمحال ويوضح هذا أنك لو قلت كل موجود لا يخلو أن يكون عالماً أو جاهلاً قلنا : إن كان ذلك الموجود يقبل الضدين فنعم فأمّا إذا لم يقبلهما كالحائط مثلاً فإنه لا يقبل العلم ولا الجهل ونحن ننزه الذى ليس كمثله شئ سبحانه وتعالى كما ننزه نفسه عن كل ما يدل على الحدث وما ليس كمثله شئ لا يتصوره وهم ولا يتخيله خيال والتصور والخيال إنما هما من نتائج المحسوسات والمخلوقات تعالى عن ذلك ومن هنا وقع الغلط واستدراج العدو فأهلك خلقاً وقد تنبه خلق لهذه الغائلة فسلموا وصرفوا عنه عقولهم إلى تنزيهه سبحانه وتعالى فسلموا . ومن الأحاديث التى يحتجون بها حديث عبد الرحمن ابن عائش عن النبي ﷺ أنه قال : (رأيت ربى في أحسن صورة فقال لى فيم يختصم الملائة الأعلى يا محمد ؟ قلت أنت

أعلم يا رب فوضع كفيه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات وما في الأرض (وهذا الحديث قال الإمام أحمد فيه أن طرقة مضطربة وقال الدارقطني كل أسانيده مضطربة ليس فيها صحيح وقال البيهقي روى من أوجه كلها ضعيفة وأحسن طريقة يدل على أن ذلك كان في النوم ويدل على ذلك أنه روى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : (أتاني آت في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملاء الأعلى ؟ قلت لا أدري فوضع كفيه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديي فعرفت كل شيء يسألني عنه) وروى من حديث ثوبان رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال : (إن ربي أتاني الليلة في أحسن صورة فقال لي يا محمد فيم يختصم الملاء الأعلى ؟ قلت لا أعلم يا رب فوضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله في صدري فتجلى لي ما بين السماء والأرض) وروى من وجوه كثيرة فهي أحاديث مختلفة وليس فيها ما يثبت مع أن عبد الرحمن لم يسمعه من النبي ﷺ وعلى وجه التنازل فالمعنى راجع إلى رسول الله ﷺ . فالمعنى رأيته على أحسن صفاته أي من الإقبال والرضا ونحو ذلك . لأن الصورة يعبر بها ويراد الصفة كما في الحديث خلق الله آدم على صورته تقول هذه صورة هذا الأمر أي صفته فيكون المعنى خلق الله آدم على صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة مع أن هذا الحديث فيه علل منها : أن الثوري والأعمش كان يدلّس ولم يذكر أنه سمع الحديث من حبيب بن أبي ثابت ومنها أن حبيباً كان يدلّس ولم يعلم أنه سمعه من عطاء وهذا كله يوجب وهنا في الحديث ومع ذلك

دفع شبه من شبه وتمرد

فالضمير يصح . عودة إلى آدم عليه السلام فالمعنى أن الله عز وجل خلق آدم على صورته التي خلقه عليها تماماً لم ينقله من نطفة إلى علقة كبنيه . قال الإمام أبو سليمان الخطابي وذكره تغلب في أماليه وقيل أن الضمير يعود إلى بعض بنى آدم وخلق من العلماء سكتوا عن تفسير هذا الحديث فالمشبه لا متمسك له بهذه الأحاديث لما ذكرناه وتمسكه بها يدل على جهله وزندقته عافانا الله عز وجل من ذلك ومن ذلك حديث القدم (لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه) الحديث . وهذا يرجع إلى المحكم قال الله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ . وقال الحسن البصري القدم في الحديث هم الذين قدمهم الله من شرار خلقه وأثبتهم لها . وقال البيهقي عن النضر ابن شميل القدم هنا الكفار الذين سبق في علم الله أنهم من أهل النار . وقال الأزهرى القدم الذين تقدم القول بتخليدهم في النار وقال ابن الأعرابى القدم المتقدم وكل قادم عليها يسمى قدماً والقدم جمع قادم كما يقال عيب وعاييب وروى الدارقطنى حتى يضع قدمه أو رجله وفي هذه دلالة على تغيير الرواية بالظن مع أن الرجل في اللغة هى الجماعة ألا تراهم يقولون رجل من جراد فيكون المعنى يدخلها جماعة يشبهون الجراد في الكثرة (قال ابن عقيل) تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة وهذا عين التجسيم وليس الحق بذى أجزاء وأبعاض فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن المكون تعالى الله عن تخايل الجسمية وذكر كلاماً مطولاً بالغاً في التنزيه وتعظيم الله تعالى وقد تمسك بهذا الحديث ابن حامد المشبه فأثبت لله سبحانه وتعالى

صفات وزاد فروى من حديث ابن عباس رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال (لما أسرى بى رأيت الرحمن على صورة شاب أمرد نور يتلألأ وقد نهيت عن صفته لكم فسألت ربى أن يكرمنى برؤيته فإذا كأنه عروس حين كشف عنه حجابهُ مستو على عرشه) وهذا من وضعه وافترائه وجرأته على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ ومن أعظم فرية ممن شبه الله عز وجل بأمرد وعروس وكان بعض أئمة الحنابلة يتوجع ويقول ليت ابن حامد هذا ومن ضاهاه لم ينسبوا إلى أنهم من أتباع الإمام أحمد فقد ادخلوا بأقوالهم المفتراة الشين على المذهب والتعرض إلى الإمام أحمد بالتشبيه والتجسيم وحاشاه من ذلك بل هو من أعظم المنزهة لله عز وجل وقد خاب من افترى وقال بعض أئمة الحنابلة المنزهين من أثبت الله تعالى هذه الصفات بالمعنى المحسوس فما عنده من الإسلام خبر تقدس الله عز وجل عما يقولون علواً كبيراً وخوضهم في ذلك كلام من لا يعرف الله عز وجل وكذا خوضهم في الأحاديث خوض من لا يعرف كلام الله تعالى ولا كلام أهل اللغة فيجرونها على المتعارف عند الخلق فيقعون في الكفر ونوضح ذلك أيضاً مبيناً يدركه أبلد العوام فضلاً عن أذكىاء الطلبة والعلماء الأخيار الذين جعل الله عز وجل قلوبهم معادن المعانى المرادة وكنوزها فمن ذلك ما في الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه في حديث الضيف وفيه (لقد عجب الله من صنيعكما الليلة) وفي أفراد البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : عجب ربك من قوم جئ بهم في السلاسل حتى يدخلهم الجنة . قال ابن الأنبارى معنى عجب ربك زادهم إنعاماً وإحساناً فعبّر بالعجب

عن ذلك . قال الأئمة لأن العجب إنما يكون من شئ يدهم الإنسان فيستعظمه مما لا يعلمه وذلك إنما يكون في المخلوق وأما الخالق فلا يليق به ذلك فمعناه عظم قدر ذلك الشئ عنده لأن المتعجب من الشئ يعظم قدره عنده فالمعنى في حديث الضيف عظم قدره وقدر زوجته عنده حتى نوه بذكرهما في أعظم كتبه وعظم قدر المجئ بهم في السلاسل حتى أدخلهم الجنة وجعلهم من أوليائه وأنصار دينه ومن ذلك حديث : (الله أفرح بتوبة عبده) ومعناه أرضى بها ومنه^(١) قوله : « كل حزب بما لديهم فرحون » أى رضوان ونحو ذلك مما هو كثير في القرآن وكذا الأحاديث ومنها حديث النزول وهو في الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعونى فأستجيب له) إلى آخره وهذا الحديث رواه عشرون نفساً من الصحابة رضى الله عنهم وقد تقدم أنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والتنقل والتغير لأن ذلك من صفات الحدث فمن قال ذلك في حقه تعالى فقد ألحقه بالمخلوق وذلك كفر صريح لمخالفة القرآن في تنزيهه لنفسه سبحانه وتعالى ومن العجب العجيب أن يقرأ أحدهم قوله تعالى : « وأنزلنا الحديد » مع أن معدنه في الأرض وقوله تعالى : « وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج » فيا الله العجب من شخص لم يعرف نزول الجمل كيف يتكلم في تفصيلها وقد قال تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب » وقال تعالى : « قد أنزل الله إليكم ذكراً » فنسب الإنزال إلى هاتين الغائيتين إليه سبحانه وتعالى ، وقد قال

(١) أى من هذا الاستعمال اهـ مصححه

تعالى : ﴿ من يضل الله ﴾ أى ببذعته ﴿ فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ والعمه فى البصيرة كما أن العمى فى البصر والعمه فى البصيرة كما الهلكة أعاننا الله من ذلك وروى أبو عيسى الترمذى عن مالك ابن أنس وسفيان ابن عيينه وابن المبارك أنهم قالوا أمروا هذه الأحاديث بلا كيف قال الأئمة فواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة والحركة فإن النزول الذى هو انتقال من مكان إلى آخر يفتقر إلى الجسمية والمكان العالى والمكان السافل ضرورة كما فى قوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ فإن الفوقية باعتبار المكان لا تكون بالضرورة إلا فى الأجرام والأجسام مركبة كانت أو بسيطة والرب سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك إذ هو من صفات الحدث وقال ابن حامد الراسم نفسه بالحنبل هو فوق العرش بذاته وينزل من مكانه الذى هو فيه فينزل وينتقل ولما سمع تلميذه القاضى منه هذا استبشعه فقال النزول صفة ذاتية ولا نقول نزوله انتقال أراد أن يغالط الأغبياء بذلك . وقال غيره يتحرك إذا نزل وحكوا هذه المقالة عن الإمام أحمد فجوراً منهم بل هو كذب محض على هذا السيد الجليل السلفى المنزه فإن النزول إذا كان صفة لذاته لزم تجدها كل ليلة وتعددتها والإجماع منعقد على أن صفاته قديمة فلا تجدد ولا تعدد تعالى الله عما يصفون وقد بالغ فى الكفر من الحق صفة الحق

بالخلق وأدرج نفسه في جريدة السامرة واليهود الذين هم أشد عداوة للذين آمنوا . ومنها حديث الأصابع وهو في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال جاء خبر إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع ، والأنهار على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، وفي لفظ والماء والنرى على إصبع ، ثم يهزم فضحك رسول الله ﷺ وقال : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ . وفي لفظ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً وتصديقاً له . قال الأئمة ومنهم أبو سليمان الخطابي لا نشأت لله صفة إلا بالكتاب أو خبر مقطوع بصحته مستند إلى أصل في الكتاب أو السنة المقطوع بصحتها^(١) وما كان بخلاف ذلك فالواجب التوقف عن إطلاق ذلك ويتأول على ما يليق بمعانى الأصول المتفق عليها من أقوال أهل العلم مع نفى التشبيه . وقال غيره قد نفى الله تعالى التشبيه عنه في قوله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ . ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى ﴾ دفعاً لما يتبادر إليه الفهم باعتبار المحسوسات . (قال الأئمة) معناه ما عرفوه حق معرفته وقال المبرد ما عظموه حق عظمته وقبضة الله عز وجل عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته واليمين في كلام العرب بمعنى الملك والقدرة كما قال تعالى : ﴿ لأخذنا منه باليمين ﴾ أى بالقوة والقدرة وأشعار العرب في ذلك أكثر جداً من أن تذكر وأشهر من أن تتشد وتبرز وتظهر وفي الحديث : (الحجر

(١) لو لاحظ المتكلمون في هذه المواضع هذا الأصل لاستراحوا وأراحوا هـ مصححه

الأسود يمين الله تعالى) وقال تعالى : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ وقال أبو الوفاء بن عقيل من أصحاب الإمام أحمد ﴿ ما قدروا الله حق قدره ﴾ إذ جعلوا صفاته تتساعد وتتعاقد على حمل مخلوقاته وإنما ذكر الشرك في الآية رداً عليهم وفي معنى هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : (إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء) وفي ذلك إشارة إلى أن القلوب مقهورة لمقلبها . قال الخطابي واليهود مشبهة ونزول الآية دليل على إنكار الرسول ﷺ عليهم ولهذا ضحك عليه الصلاة والسلام على وجه الإنكار وليس معنى الأصابع معنى الجارحة لعدم ثبوته بل يطلق الاسم في ذلك على ما جاء به الكتاب من غير تكييف ولا تشبيه . وقال غيره من حمل الأصابع على الجارحة فقد رد على الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ سبحانه ﴾ وأدخل نفسه في أهل الشرك لقوله تعالى : ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ وهو عز وجل يذكر في كتابه المبين التحرس عما لا يليق دفعاً ورداً لأعدائه كقوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ﴾ وقال تعالى : ﴿ وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه ﴾ ونحو ذلك وأكد من ذلك قوله : ﴿ وأنه تعالى جدر بنا ما اتخذ صاحبه ولا ولداً ﴾ قدم تنزيهه عز وجل أولاً في هذه الآية والقرآن طافح بذلك ومنها ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : (لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي) وفي لفظ سبقت قال القاضي المشبه تلميذ ابن حامد ظاهر قوله عنده القرب من الذات وما قاله يستدعي القرب والمساحة وذلك من صفات

الأجسام وقد عمى عن قوله تعالى : ﴿ مسومة عند ربك ﴾ ومن المعلوم أنك تقول عندى فوق الغرفة كتاب كذا وهو في موضع شاسع نازل عن الغرفة بمسافة بعيدة ثم أن هذا القاضي روى عن الشعبي أنه قال أن الله قد ملأ العرش حتى أنه له أطيطاً كأطيط الرجل وهو كذب على الشعبي وقال بعضهم ثم استوى على العرش قعد عليه . وقال ابن الزغوانى خرج عن الاستواء بأربع أصابع ولهم ولأتباعهم مثل ذلك خبائث كلها صريحة في التشبيه والتجسيم لاسيما في مسألة الاستواء وهو سبحانه وتعالى متنزه عما لا يليق به من صفات الحدث ثم إن هؤلاء الجمادات وأعلى الجهلة يلزمهم أن يقولوا في الحديث الذى رواه مسلم وغيره ما لم يمكن القول به من أجهل الناس : (ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها) الخ وبالضرورة لا يكون سبحانه جارحة لعبده ومع هذا يلزم التعدد بحسب المتقربين والتجزئة والتفرقة وغير ذلك مما لا يقوله حمار بل ولا جماد تعالى الله وتقدس عن ذلك . قال ابن الجوزى وهؤلاء وأتباعهم جهلوا معرفة ما يجوز على الله وما يستحيل عليه ومن أعجب ما رأيت لهم ما ذكروا عن ابن أبى شيبه أنه قال في كتاب العرش أن الله قد أخبرنا أنه صار من الأرض إلى السماء ، ومن السماء إلى العرش ، فاستوى على العرش . ثم قال ونبرأ من أقوام شأنوا مذهبنا فعابنا الناس بكلامهم ولو فهموا أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف بما يوصف به الخلق لما بنوا أمورهم وقواعدهم على المحسوسات التى بها المساواة بينه وبين خلقه وفي ذلك تكذيبه

في تنزيهه وتقديسه نفسه عز وجل وقال أبو الوفاء بن عقيل تحسب
الجهلة أن الكمال في نسبة النقائص إليه فيما نزه نفسه عنه
عز وجل والذي أوقعهم في ذلك القياس المظنون وكيف يكون له
حكم الدليل وقد قضى عليه دليل العقل بالرد قال أبو الفرج
ابن الجوزي : والناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب :
أحدها إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل إلا أن تقع
ضرورة كقوله تعالى : ﴿ وجاء ربك ﴾ أى جاء أمره (وهذا
مذهب السلف) . المرتبة الثانية التأويل وهو مقام خطر . المرتبة
الثالثة القول فيها بمقتضى الحس وقد علم جهله الناقلين إذ ليس لهم
علوم المعقولات التى بها يعرف ما يجوز على الله عز وجل وما
يستحيل فإن علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه
فإذا عدموها تصرفوا في النقل بمقتضى الحس ولو فهموا أن الله
عز وجل لا يوصف بحركة ولا انتقال ولا جارية ولا تغير لما
بقوا على الحسيات التى فيها عين التشبيه وهو كفر بالقرآن أعاذنا
الله من ذلك ولا شك أن مذهب السكوت أسلم وقد ندم خلق من
أكابر المتكلمين على الخوض في ذلك . قال أبو المعالى الجوينى
في آخر عمره : (خليت أهل الإسلام وعلومهم وركبت البحر
الأعظم وغصت في الذى نهوا عنه والآن رجعت إلى قولهم عليكم
بدين العجائز فإن لم يدركنى الحق بلطفه وأموت على دين العجائز
وإلا فالويل لابن الجوينى) قال أبو الوفاء بن عقيل معنى دين
العجائز أن المدققين بالغوا في البحث والنظر ولم يشهدوا ما يشفى
العقل من التعليل فوقفوا مع المراسم واستطرحوا وقالوا لا ندرى
وسئل الإمام أحمد قدس الله روحه عن الاستواء فقال : (هو كما

أخبر لا كما يخطر بالبشر (فانظر وفقك الله وأرشدك إلى الحق إلى هذه العبارة ما أرسقها وعلى أتباعه ما أشققها^(١)) اعتقاد قويم ومنهاج سليم قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي واسمه عبد الرحمن ابن علي لما رأى الحساد للإمام أحمد ما حصل له من الرفعة ونفاضة مذهبه لتشييده بالكتاب والسنة انتموا إلى مذهبه ليدخلوا عليه النقص والخلل وصرف الناس عنه حسداً من أنفسهم فصرحوا بالتشبيه والتجسيم ولم يستحيوا من الخبير العليم . ونسبوه إليه افتراء عليه ومن نظمه في ذلك :

ولما نظرت في المذاهب كلها طلبت الأسد في الصواب وما أغلو
فألفت عند السير قول ابن حنبل يزيد على كل المذاهب بل يعلو
وكل الذي قد قاله فمشيد بنقل صحيح والحديث هو الأصل
وكان بنقل العلم أعرف من روى يقوم^(٢)

ومذهبه أن لا يشبه ربه ويتبع في التسليم من قد مضى قبل
يشير إلى صاحبه الإمام الشافعي وغيره من علماء السلف كما
أذكر :

فقام له الحساد من كل جانب فقام على رجل الثبات وهم زلوا
وكان له أتباع صدق تتابعوا فكم أرسدوا نحو الهدى ولكم دلوا
وجاءك قوم يدعون تمذهبا بمذهبه ما كل زرع له أكل
ومالوا إلى التشبيه أخذاً بصورة ال ذي نقلوه في الصافت وهم غفل
وقالوا الذي قلناه مذهب أحمد فمال إلى تصديقهم من به جهل

(١) لعله ما أشققها بحذف إحدى القافين أو بإبدال أحدهما فاء ا هـ مصححه

(٢) هكذا بياض بالأصل ويصح أن يتم بنحو قولنا : إذا نام السوى وبه يخلو ا هـ

فصار الأعدى قائلين لكلنا مشبهة قد ضرنا الصحب والخل
فقد فضحوا ذاك الإمام لجهلهم ومذهبه التنزيه لكن هم اختلوا
لعمرى لقد أدركت منهم مشايخاً وأكثر ما أدركته ماله عقل
وحذفت أبياتاً من هذه القصيدة لأنى في هذه الورقات على سبيل
الاقتصاد والرمز إلى منهج الحق والرشاد (وسئل الإمام) الشافعى
قدس الله روحه عن الاستواء فقال : (آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا
تمثيل واتهمت نفسى في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل
الإمساك) وهذا شأن الأئمة يمسكون أعنة الخوض في هذا
الشأن مع أنهم أعلم الناس به ولا يخوض فيه إلا أجهل الناس
به (وسئل) الإمام أبو حنيفة قدس الله روحه عن ذلك فقال : (من
قال لا أعرف الله أفى السماء أم في الأرض فقد كفر لأن هذا
القول يؤذن ، أن الله سبحانه وتعالى مكاناً ومن توهم أن الله
مكاناً فهو مشبه) (وسئل) الإمام مالك عن الاستواء فقال :
(الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه
بدعة) فنفى العلم بالكيف فمن استدل بكلامه على أنه سبحانه
وتعالى فوق عرشه فهو لجهله وسوء فهمه ، وقال الإمام مالك عند
قوله : (فلا تضربوا الله الأمثال) من وصف شيئاً من ذاته
سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت أيديهم ﴾ فأشار بيده إلى عنقه قطعت وكذا السمع والبصر
يقطع ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه ، وقال مالك رضى الله عنه :
(الاستواء معلوم) يعنى عند أهل اللغة وقوله : (والكيف
مجهول) أى بالنسبة إلى الله عز وجل لأن الكيف من صفات
الحدث وكل ما كان من صفات الحدث فانه عز وجل منزّه عنه

فإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة وقوله : (والإيمان به واجب) أى على الوجه اللائق بعظمته وكبريائه وقوله : (والسؤال عنه بدعة) لأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا عالمين به وبمعناه اللائق بحسب اللغة فلم يحتاجوا إلى السؤال عنه فلما ذهب العالمون به وحدث ما لم يعلم أوضاع لغتهم ولا له نور كنورهم شرع يسأل الجهلة بما يجوز على الله عز وجل وفرح بذلك أهل الزيغ فشرعوا يدخلون الشبه على الناس ولذلك تعين على أهل العلم أن يبينوا للناس وأن لا يهملوا البيان لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ فهذه (١) الأئمة التى (٢) مدار الأمة عليهم في دينهم متفقون في العقيدة فمن زعم أن بينهم اختلافاً في ذلك فقد افترى على أئمة الإسلام والمسلمين والله حسبه وسيجزي الله المفتريين . وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال : (من فارق الجماعة شبراً فمات ميتة جاهلية) وقال عليه الصلاة والسلام : (إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والنافرة والشاذة إياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد) رواه الطبرانى وغيره من حديث معاذ رضى الله عنه ورواه الإمام أحمد ورجاله ثقات وسئل الإمام أحمد عن الشافعى فقال : (ما الذى أقول فيه وهو الذى أخرج من قشور التشبيه لبابها ، واطلس على معارفها وأربابها وجمع مذهبه أكنافها وأطنابها ، فالمحدثون صيادلة و الشافعى طبيبهم ،

(١) لعله فهو لاء ا هـ مصححه

(٢) لعله الذين ا هـ مصححه

والفقهاء أكابر والشافعي كبيرهم ، وما وضع أحد قلمه في محبرة إلا وللشافعي عليه منة) وكان كثير الدعاء للشافعي . قال له ابنه عبد الله أى شئ كان الشافعي فإنى أسمعك تكثر الدعاء له قال : (يا بنى كان الشافعي كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس ، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض) وسئل بعض أئمة السلف عن قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فقال : (الرحمن جل وعلا لم يزل والعرش محدث بالرحمن استوى ثم قال كل ما ميزتموه بأذهانكم وأدركتموه في أتم عقولكم فهو مصروف إليكم ومردود عليكم محدث ومصنوع مثلكم لأن حقيقته عالية عن أن تلحقه عبارة أو يدركه وهم أو يحيط به علم كلا كيف يحيط به علم وقد اتفق فيه الأضداد بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ أى عبارة تخبر عنه : حقيقة الألفاظ كلام : قصرت عنه العبارات : وخرست عنه الألسنة بقوله : ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ تعالى الله وتقدس عن المجانسة والمماثلة) . قال ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية معناها ليس له نظير ، وقال أهل التحقيق ذكر العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته إذ الذات ممتعة عن الإحاطة بها والوقوف عليها كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى ﴿ لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾ ف سبحانه هو المنزه عن الشبيه القدوس المبرأ عن الآفات : والمسبح بجميع اللغات : السلام السالم من نقائص المخلوقات : الصمد السيد الذى لا يشبهه شئ من المصنوعات والمخلوقات : الغنى عن

الأغيار . تبارك وتعالى عن أن تحويه الجهات : الفرد
الذى لا نظير له : المنفرد بصفات الكمال والقدرة : ومن
بعض مقدوراته الكرسي والعرش والأرضون والسموات : شهد
لنفسه بالوحدانية ونزهها بالآيات البينات فصفاته لا يوصف بها
غيره : ومن تعرض لذلك فقد طعن في كلامه : وضاهى
أهل العناد فاستوجب اللعن وأشد العقوبات : قال البغداديون
في قوله تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض وإذا مضى
أمرًا فاتمنا يقول له كن فيكون ﴾ كل صنع صنعه ولا علة
لصنعه ليس لذاته مكان لأنه قبل الكون والمكان : وأوجد الأكوان
بقوله كن : أزال العلل عن ذاته بالدرك^(١) وبالعبرة عنه
وبالإشارة فلا يبلغ أحد شيئاً من كنه معرفته لأنه لا يعلم أحد ما هو
إلا هو : حى قيوم لا أول لحياته : ولا أمد لبقائه : احتجب عن
العقول والأفهام : كما احتجب عن الأبصار فججز العقل عن
الدرك : والدرك عن الاستنباط : وانتهى المخلوق إلى مثله :
وأسنده الطلب إلى شكله ا هـ . وقولهم كل صنع عبروا بالمصدر
عن اسم المفعول كقوله تعالى : ﴿ هذا خلق الله ﴾ ومن الجهل البين
أن يطلب العبد المقهور بكل درك ما لا يدرك : كيف وقد تنزه عن
أن يدرك بالحواس أو يتصور بالعقل الحادث والقياس من لا يدركه
العقل من جهة التمثيل : ويدركه من جهة الدليل : فكل ما يتوهمه
العقل لنفسه فهو جسم وله نهاية في جسمه وجنسه : ونوعه
وحركته وسكونه مع ما يلزمه من الحدود والمساحة من الطول

(١) قوله بالدرك متعلق بمحذوف فيما يظهر تقديره وأعجز الخلق عن أن يحيطوا به
بالدرك الخ والدرك الإدراك ا هـ مصححه

والعرض وغير ذلك من صفات الحدث تعالى عن ذلك فهو الكائن قبل الزمان والمكان ، وهو الأول قبل سوابق العدم : الأبدى بعد لواحق القدم : ليس كذاته ذات : ولا كصفاته صفات . جلت ذاته القديمة التي لم تسبق بعدم أن يكون لها صفة حادثة كما يستحيل أن يكون للذات الحادثة صفة قديمة قال تعالى : ﴿ أو لا يذكر الإنسان أن خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ وسأل بعض المخبثين (١) الطوية للإمام العالم العلامة الجامع بين العلوم السنية . والمناهج العلية : يحيى بن معاذ الرازي فقال له أخبرنا عن الله : فقال : إله واحد . فقال له كيف هو . قال : إله قادر . قال فأين هو . قال : بالمرصاد . فقال السائل : لم أسألك عن هذا . فقال : ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق . فأما صفته فالذى أخبرتك عنه . فالسائل سأل عن الذات والكيفية فأجابه هذا الخبر بالصفات الجلالية القدسية وهذا أخذه من قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون اللعين لما قاله له عليه السلام : ﴿ إني رسول رب العالمين ﴾ فسأله فرعون : ﴿ وما رب العالمين ﴾ فقال موسى : ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ فضمن الجواب العدول عما سأل لأنه عدل فيه عن مطابقة السؤال لأن فرعون سأل عن ماهيته سبحانه وتعالى وموسى أجابه عن قدرته وصفاته فجاز له حين خلط في السؤال وأخطأ وسأل عما لا يمكن إدراكه العدول عن سؤاله فقال فرعون : ﴿ إلا تستمعون ﴾ أنا أسأله عن شئ فيجيب

(١) لعله خبيثى الخ وقوله للإمام لعل اللام الأولى من تصرفات النساخ وهذا ظننا في كل ما تقدم أو يجئ في هذا الكتاب من الألفاظ التي تخالف اللغة - لأن الإمام الحصنى أجل من أن يخفى عليه مثل ذلك - هـ مصححه

عن غيره فقال موسى عليه السلام : ﴿ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ فلما قال موسى عليه السلام ذلك استشعر فرعون أنه أخطأ في السؤال فخشى أن يدرك ذلك جلساؤه فقال : ﴿ إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ﴾ رماه بذلك حتى يتخلص ويصير موسى عليه السلام في مقام لا يلتفت إلى قوله ولا يؤخذ به فتأمل أرشدك الله عز وجل وهداك إلى الحق كيف أن ذلك معلوم عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم عدم العلم بالذات والكيف فلا أجهل ولا أعمى بصيرة ممن فرعون أهدى منه في معرفته بالعجز عن درك ذاته (قال) الإمام الحافظ محمد ابن على الترمذى صاحب التصانيف المشهورة : (من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبية أجهل) وقال أهل التحقيق من أهل السنة والجماعة : (من اعتقد في الله عز وجل ما يليق بطبعه كالعامى فهو مشبه فإنه عز وجل منزّه عن كل ما يصفه الادمى أو يتخيله لأن ذلك من صفات الحدث تعالى وتقدس عن ذلك) فإيمان العامى لضعف علمه وعقله يقبل التشكيك^(١) (قال) ابن عباس : سبحانه وتعالى بخلقه يؤمنون به مجملًا ويكفرون به مفصلاً حملهم على ذلك زخرف العدو وإغواؤه رضى الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ هم الذين شبهوا الله بدسيسة عدم علمهم بغوائل النفس الأمارة بالسوء وعدم تأملهم قوله تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾ وفى

(١) هذا الكلام ليس على عمومته فإن من العامة من يندهش العالم لمبلغ كمال إيمانه بالله عز وجل وقد يصدق ذلك في بعض العوام الذين لم ينشأوا في حجور أهل الدين ولم يختلطوا بهم وهو أندر من الكبريت الأحمر بين طبقات العوام اهـ مصححه

ذلك إشارة إلى عجز الخليفة أن تدرك بعض صفات ذواتها في ذاتها أو تدرى كيف كنهها في أنفسها بعدم شهودهم خلق السموات والأرض وخلق أنفسها فلم تملك أن تحتوى علم أنفسها في أنفسها فكيف تدرى أو تدرك شيئاً من صفات موجدتها من العدم وبارئها ومالكها وقال تعالى : ﴿ ومن كل شئ خلقنا زوجين ﴾ ﴿ سبحان الذى خلق الأزواج كلها ﴾ وفي ذلك إشارة ظاهرة إلى عجزك عن إدراك كنه بعض المخلوقات على اختلاف ذواتها وصفاتها وفي بعضها ما لا يخطر على قلب بشر فكيف بالخالق الذى نزه نفسه بقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ وهو سبحانه وتعالى مبين لخلقه من كل وجه لا يسعه غيره ولا يحجبه سواء تقدس أن يدركه حادث أو يتخيله وهم أو يتصوره خيال . كل ذلك محال فهو الملك القدوس المنزه في ذاته وصفاته عن مشابهة مخلوقاته وأنت من مخلوقاته . ركبك على منوال عجيب . وجعلك في أحسن صورة وأعجب ترتيب مع تتقل تارات من ماء مهين فقال عز وجل ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ الإنسان هنا هو آدم عليه السلام وسلالته لأنه سلة من كل تربة وكان عليه السلام يتكلم بسبعمائة ألف لغة وقوله تعالى ثم جعلناه أى الإنسان نطفة في قرار مكين أى حرز منيع وهو الرحم ثم خلقناه علقة أى دماً فخلقنا العلقة مضغة أى قدر ما يمضغ فخلقنا المضغة عظاماً وبين كل خلقتين أربعون يوماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر وهو نفخ الروح فيه . قاله ابن عباس

ومجاهد والشعبي وغيرهم وقيل نبات الأسنان والشعر قاله قتادة وقيل ذكراً أو أنثى قاله الحسن وقيل غير ذلك فتبارك الله أحسن الخالقين أى المصورين والمقدرين تنزه سبحانه وتعالى بعد ذكر هذه الأطوار . المعنى أن من هذه من بعض مقدراته يستحق التعظيم والتنزيه لأن هذه التارات والتقلات إنشاء بعد إنشاء في غاية الدلالة على كمال القدرة ووصف الألوهية ثم الإنشاء الآخر أن شق الشقوق وخرق الخروق وأخرج العصب وجعل العروق كالأنهار الجارية وركبها على منوال غريب مع كونه خلقاً سوياً فأظهر يد القدرة والآيات الظاهرة وكمال الصنع والحكمة الباهرة وأودع فيه الروح والحركة والسكون والإدراك والتمييز ولغات الكلام والعلم والمعرفة والفهم والفتنة والفراسة وغير ذلك مما يليق بهذا النوع الإنسانى الحيوانى إلى غير ذلك مما يطول عده ويعسر تقديره وحده فتبارك الله أحسن الخالقين . ولو قيل لك أخبرنى عن قدر عروقتك رقة وثخانة وطولاً وقصراً أو عن حقيقة بعض ما فى باطنك من أى نوع كان لعجزت عن بيان ذلك ولخرست . وأنت وجميع هذا النوع الإنسانى نتفة تراب جعله بشراً منتشراً فتعالى الله وتبارك أن يخوض فى ذاته وصفاته إلا من عدم الرشاد . وسلك سبيل الفساد والعناد . وصير نفسه أخس العباد . فمن حقق نظره واستعمل فكره وجد نفسه أجهل الجاهلين بعظمة هذا العظيم فلا يقدره أحد قدره ولا يعرفه سواه وإن قربه وأدناه . فسبحانه ما أثنى عليه حق ثنائه غيره ولا وصفه بما يليق به سواه عجز الأنبياء والمرسلون عن ذلك . قال أجلمهم قدراً وأرفعهم محلاً وأبلغهم نطاقاً مع ما أعطى من جوامع الكلم :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (تعرض الفتن على القلوب كالحصير فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين على أبيض مثل الصفاة فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفأ ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه) . قال حذيفة رضى الله عنه وحدثته أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر قال : قال عمر رضى الله عنه أكسر لا أبالك فلو أنه فتح لعله كان يعاد قال : لا بل يكسر وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثاً ليس بالأغاليط . قال أبو خالد فقلت لسعيد يا أبا مالك : (ما أسود مرباداً) قال : شدة البياض في السواد . قال : قلت فما (الكوز مجخياً) قال : منكوساً فقله ليس بالأغاليط يعنى أنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والفتن كل أمر كشفه الاختبار عن أمر سوء وأصله في اللغة الاختبار وشبهت بموج البحر لاضطرابها ودفع بعضها ببعض وشدة عظمها وشيوعها . وقوله تعرض الفتن على القلوب أى تلصق بعرض القلوب أى بجانبها كالحصير تلصق بجانب النائم وتؤثر فيه لشدة التصاقها وهذا شأن المشبهة تلصق فتنة التشبيه في قلوبهم وتؤثر وتحسن لعقولهم ذلك حتى يعتقدوا ذلك ديناً وقرباناً من الله عز وجل وما يقنع أحدهم حتى يبقى داعية وحريصاً على^(١) افتتان من يقدر على إفتانه كما هو مشاهد منهم وإلى مثل ذلك قوله أشربها أى دخلت فيه دخولاً تاماً وألزمها وحلت منه محل الشراب ومنه قوله تعالى :

(١) يريد فتنة من يقدر على فتنته أو فتن أو فتون الخ اهـ مصححه

﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ أى حبه فقول له إن بينك وبينها باباً مغلقاً معناه أن تلك الفتنة لا تفتح ولا يخرج منها شئ في حياتك وقوله يوشك وهو بضم الياء وكسر الشين معناه أنه يكسر عن قرب والرجل هو عمر وقد جاء مبيناً في الصحيح والحاصل أن الحائل بين الناس وبين الفتنة هو عمر رضى الله عنه ما دام حياً فإذا مات دخلت ومبدأ الفتنة هو الذين شارقوا^(١) بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأبى بكر وعمر رضى الله عنهما لعلمهم أن الدين لا يتم إلا بهما لأن عندهم علماً بذلك وكانوا يظهرون الإسلام ويقرعون شيئاً من القرآن وكانوا يرمزون إلى التعرض بالنقص حتى في النبي صلى الله عليه وسلم حتى أن منهم من كان يؤم الناس ولا يقرأ في الجهرية إلا (بعبس) لما فيها من العتاب مع النبي صلى الله عليه وسلم لأجل ابن أم مكتوم وهم رضى الله عنه على^(٢) قتاله وتظاهر شخص بسؤال ما الذاريات ذروا فقال عمر رضى الله عنه اللهم أمكنى منه فمر يوماً فقيل له هوذا واسم الرجل صبيغ فشمر عمر رضى الله عنه عن ذراعيه وأوجعه جلدأ ثم قال أرحلوه فأركبوه على راحلته فقال طيفوا به في حيه ليعلم الناس بذلك^(٣) وكان رضى الله عنه شديداً في دين الله ﷻ لا تأخذه في الله لومة لائم وقد ذكرت نبذة يسيرة من سيرته في كتاب (قمع النفوس) ولما كان أواخر القرن الأول اتسع الأمر من القصاص وتظاهر شخص يقال له المغيرة بن سعيد وكان ساحراً واشتهر

(١) أى غصوا به صلى الله عليه وسلم وبصاحبيه فلم يستطيعوا أن ينفذوا ما يضمرون من الكيد للإسلام في وجودهم لعلمهم الخ ا هـ مصححه

(٢) على موضع الباء ا هـ مصححه

(٣) ونفاه بعد ذلك رضى الله عنه ولم يرجعه حتى صدقت توبته ا هـ مصححه

بالوصاف وجمع بين الإلحاد والتنجيم ويقول أن ربه على صورة رجل على رأسه تاج وأن أعضائه على عدد حروف الهجاء ويقول ما لا ينطق به ويقول أن الأمانة في قول الله تعالى : ﴿ أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ﴾ هي أن لا يمنع على الخلافة وقوله تعالى : ﴿ وحملها الإنسان أنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ هو أبو بكر رضى الله عنه . وقال عمر رضى الله عنه لأبى بكر أن يحملها ويمنع عليها منها وضمن عمر أن يعين أبا بكر بشرط أن يجعل أبو بكر الخلافة له بعده فقبل أبو بكر منه وأقدا على المنع متظاهرين ثم وصفهما بالظلم والجهل فقال وحملها أبو بكر أنه كان ظلوماً جهولاً وزعم أنه نزل في حق عمر رضى الله عنه ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ﴾ الآية . وكان يقول بتكفير سائر الصحابة رضى الله عنهم إلا لمن ثبت مع على رضى الله عنه وكان يقول أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يختلفوا في شئ من الشرائع وكان يقول بتحريم إنكار المنكر قبل خروج الإمام ، وقال لمحمد الباقر أقر أنك تعلم الغيب حتى أجبي لك العراق فانتهره وطرده وكذا فعل بجعفر الصادق ولد محمد الباقر فقال أعوذ بالله وكان يقول انتظروا محمد بن عبد الله الإمام فإنه يرجع ومعه ميكائيل وجبريل يتبعانه من الركن والمقام وكان له خبائث فلما كان في السنة التاسعة عشرة والمائة ظفر به خالد ابن عبد الله القسرى فأحرقه وأحرق معه خمسة من أتباعه فهذا شأن أهل الزيغ واستمر الأمر على ذلك إلا أنهم سلكوا مسلك المكر والحيلة بإظهار الكذب^(١) على سماع الحديث ويكثرون من

(١) يريد الأكاباب اهـ مصححه

ذكر أحاديث المتشابه ويجمعونها ويسردونها على الناس العوام ثم كثرت المقالات في زمن الإمام أحمد وكثر القصاص وتوجع هو وابن عيينة وغيرهما منهم وكان الإمام أحمد يقول : كنت أود لو كان قصاصاً صادقاً نصوحاً طيب السريرة ونبغ في زمنه محمد ابن كرام السجستاني وترافق مع الإمام أحمد وأظهر حسن الطريقة حتى وثقه هو وابن عيينة وسمع الحديث الكثير ووقف على التفاسير وأظهر النقشف مع العفة ولين الجانب وكان ملبوسه جلد ضأن غير مخيط وعلى رأسه قلنسوة بيضاء ثم أخذ حانوتاً يبيع فيه لبناً واتخذ قطعة فرو يجلس عليها ويعظ ويذكر ويحدث ويتخشع حتى أخذ بقلوب العوام والضعفاء من الطلبة لوعظه وبزهدته حتى حصر من تبعه من الناس فإذا هم سبعون ألفاً وكان من غلاة المشبهة وصار يلقي على العوام الآيات المتشابهة والأخبار التي ظواهرها يوافق عقول العوام وما ألفوه ففطن الحذاق من العلماء فأخذوه ووضعوه في السجن فلبث في سجن نيسابور ثمان سنين ثم لم يزل أتباعه يسعون فيه حتى خرج من السجن وارتحل إلى الشام ومات بها في زعر ولم يعلم به إلا خاصة من أصحابه فحملوه ودفنوه في القدس الشريف وكان أتباعه في القدس أكثر من عشرين ألفاً على التعبد والنقشف وقد زين لهم الشيطان ما هم عليه وهم من الهالكين وهم لا يشعرون واستمر على ما هم عليه خلق شأنهم حمل الناس على ما هم عليه إلى وقتك هذا قال الله تعالى : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ﴾ قال سعيد ابن جبير هذه الآية نزلت في أصحاب الأهواء والبدع المعنى أنه ركض في ميادين الباطل وهو يظنها حقاً وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول : عند هذه

الآية إن الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها والبدعة هي استحسان ما يسوق إليه الهوى والشبهة مع الظن بكونها حقاً وهؤلاء ينزع من قلوبهم نور المعرفة وسراج التوحيد من أسرارهم ووكّلوا إلى ما اختاروا فضلوا وأضلوا ﴿ ويحسبون أنهم على شيء إلا أنهم هم الكاذبون ﴾ حتى ينكشف لهم الأمر كما قال الله تعالى : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ قيل عملوا أعمالاً ظنوا أنها في كفة الحسنات فإذا هي في كفة السيئات وهذه الآية قيل أنها في أهل البدع يتصور (١) ويعتقد مع تمام الورع والزهد وتمام الأعمال الصالحة وفعل الطاعات والقربات ، ما عاقبته خسارة . ومن ذلك أن يعتقد في ذات الله صفاته وأفعاله ما هو خلاف الحق ويعتقده على خلاف ما هو به ، أما برأيه ومعقوله الذي يحاكى به الخصوم وعليه يعول وبه يغتر قد زين له العدو وحلاه له حتى اعتقده ديناً ونعمة وإما أخذاً بالتقليد ممن هذه حاله وهذا التقليد كثر في العوام لاسيما من يعضد بدعته واعتقاده بظاهر آية أو خبر وهو على وفق الطبع والعادة وقد أهلك اللعين بمثل هذا خلقاً لا يحصون حتى أنهم يعتقدون أن الحق في مثال ما هم عليه وأن غيرهم على ضلالة ومثل هؤلاء ومن اتبعوهم إذا بدا لهم ناصية ملك الموت انكشف لهم بطلان (٢) ما اعتقدوه حقاً باطلاً وجهلاً وختم لهم بالسوء وخرجت أرواحهم على ذلك وتعذر عليهم التدارك وكذا كل اعتقاد باطل ولا يفيد زوال ذلك كثرة التعبد وشدة الزهد وكثرة الصوم والحج وغير ذلك من أنواع الطاعات والقربات لأنها تبع لأمر

(١) أى أحدهم اهـ مصححه

(٢) لعل لفظ بطلان من زيادة النساخ اهـ مصححه

باطل ولا ينجو أحد إلا بالإعتقاد الحق . وقد قال تعالى : ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ وهذه الآية صريحة في أنه ليس بين الحق والباطل واسطة والباطل هو الذهاب عن الحق مأخوذ من ضل الطريق وهو العدول عن سمتة والحق هو الصراط المستقيم الذى فى قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ وصف الله تعالى صراطه وهو دينه بالاستقامة وأمر باتباعه ، والمستقيم هو الذى لا اعوجاج فيه فمن اتبعه أوصله إلى مقعد صدق عند ملكك مقتدر . (قال) سهل : الصراط المستقيم هو الإقتداء والإتباع وترك الهوى والابتداع ثم أنه تعالى نهى عن اتباع السبل لما فيها من الحيدة عن طريق الاستقامة فقال : ﴿ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ أى تميل بكم عن طريقه التى ارتضى وبه^(١) - أوصى - إلى سبل الضلالات من الأهواء فتهلكوا قيل لعبد الله ابن مسعود رضى الله عنه ما الصراط المستقيم فقال ما تركنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أدناه وطرفه فى الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثم رجال يدعون من مربهم فمن أخذ فى تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ثم تلا : ﴿ وإن هذا صراطى مستقيما ﴾ الآية فأشار رضى الله عنه بالرجال الذين على الجواد إلى علماء السوء وأهل البدع . وأشار بقوله يدعون من مربهم إلى الوعاظ الذين هم سبب هلاك من قعد إليهم ولهذا بالغ السلف رضى الله عنهم فى التحذير من

(١) راعى فى وصف الطريق بالتى جواز تأنيثها وراعى فى رجوع الضمير إليها فى به

جواز تذكره فليعلم اهـ مصححه

مجالسة كل أحد وقالوا إذا جلس في الوعظ فتفقدوا منه أموراً فإن كانت فيه فاهربوا منه وإلا هلكتم من حيث ظننتم النجاة منها إن كان مبتدعاً فاحذروه واجتنبوه فإنه على^(١) لسان الشيطان ينطق ومن نطق على لسان الشيطان فلا شك ولا ريب في إغوائه فيهلك الإنسان من حيث يظن السلامة وأيضاً ففي المشي إليه ومجالسته تعظيم له وتوقير (روى) ابن عدى من حديث عائشة رضى الله عنها : (من قر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام) ورواه الطبراني في معجمه الأوسط ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله ابن بشر وبهذا وبغيره يجب التبري من أهل البدع والتباعد (قال) بعض السلف : (من بش في وجه مبتدع أو صافحه فقد حل عرى الإسلام عروة عروة) (وقال) شخص من أهل الأهواء لأيوب السختياني رحمته الله : أكلمك كلمة فقال لا والله ولا نصف كلمة وكان يقول ما ازداد صاحب بدعة إجتهداً إلا ازداد من الله بعداً . قال رضى الله عنه : كنا ندخل على أيوب السختياني فإذا ذكرنا له حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي حتى نرحمه وكان يقول إذا بلغني موت أحد من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائي وكان يقول والله ما صدق عبد الاسره ألا يراه أحد^(٢) وكان يونس ابن عبيد يقول احفظوا عنى ثلاثاً مت أو عشت لا يدخلن أحد على سلطان يعظه أو يعلمه ولا يخلون بامرأة شابة وإن أقرأها القرآن ولا يمكن سماعه من ذى هوى وأشدها الثالثة لما فيها من الزيغ أعاذنا الله من ذلك وكان يقول ما يزال العبد بخير ما أبصر ما يفسد

(١) على بمعنى عن أو الباء اهـ مصححه

(٢) أى وهو يعمل الصالحات وهو كلام جليل فليفكر فيه القارئ طويلاً لعله يتحقق

به اهـ مصححه

عمله : ويونس هذا تابعى من أصحاب الحسن البصرى وكان أبو عبد الله الأصبهاني من عباد الله الصالحين ومن البكائين ولم يكن بأصبهان أزهد منه ولا أروع منه قال وقفت على على بن ماشاذة وهو يتكلم على الناس فلما جاء الليل رأيت رب العزة في النوم فقال لى وقفت على مبتدع وسمعت كلامه لأحرمك النظر في الدنيا فاستيقظ وعيناه مفتوحتان لا يبصر بهما شيئاً (وقال الحميدى) سمعت الفضيل يقول : من قرر صاحب بدعة أورثه الله عمى قبل موته قيل أراد أيضاً عمى البصيرة . وأعلم أن الكلام على البدعة وأهلها فيه طول جداً وقد ذكرت جملة منه في (تنبيه السالك على مظان المهالك) (ومنها) أن يكون الواعظ سئ الطعمة فإنه إنما ينطق بالهوى لأن مثل هذا يوقع الناس في الحرام أو ربما اعتقدوا حله لأنهم يقتدون به في فعله بواسطة قوله (ومنها) أن يكون ردئ العقل أحق فإنه يفسد بحمقه أكثر مما يصلح والأحمق هو الذى يضع الشئ في غير موضعه ويعتقد أنه يصيب قال عيسى عليه السلام أبرأت الأكمة والأبرص وأعيانى الأحمق فالأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون له رؤية صحيحة في طريق الوصول إلى الغرض ويختار ما لا ينبغي أن يختار وهذا واجب الاجتناب بخلاف صاحب العقل الصحيح فإنه يثمر حسن النظر وجودة التدبير وثقافة الرأى وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأدلة والأعمال وخفايا النفس الأمارة وغرور الشيطان (ومنها) أن يذكر الأدلة التى هى رجاء وتوسعة على النفوس ويسكت عن آيات الخوف والرهبة وكذا الأخبار والآثار لأنه بذلك يحل من القلوب الزواجر ويسهل ارتكاب المعاصى

لاسيما إذا علم منه ارتكاب شئ ولو كان مكروهاً فإنه يوقع الناس في ورطة عظيمة (قال) إذا عبث العلماء بالمكروه عبث العوام بالحرام وإذا عبث العلماء بالحرام كفر العوام معناه أنهم يعتقدون حله لارتكاب العلماء ذلك لأنهم القادة وعليهم المعول في التحليل والتحريم (ومنها) أن يتعرض لآيات المتشابه وكذلك الأخبار ويجمعها ويسردها ويكرر الآية والخبر مراراً لأنه يوقع العامي فيما اعتاده وألفه فيجرب صفات الخالق سبحانه وتعالى على ما ألفه وجرب عليه طبعه ويزينه الشيطان له بغروره لاسيما إن كان الواعظ ممن يظهر زهداً وورعاً وشفقة على الناس فكم من شخص حسن الظاهر خبيث الباطن جميل الظاهر قبيح السرائر والضمائر والسلف رضى الله عنهم لهم اعتناء بشدة مجانية هذا والابتعاد عنه (ومنها) أن يكون متهماً بالرفض وبسب الصحابة رضى الله عنهم وهؤلاء نبه مالك عليه السلام على أنهم من سلالة المنافقين وأوضح ذلك نور الله تعالى قلبه فقال : أرادوا أن يقدحوا في النبي صلى الله عليه وسلم بشئ فلم يجدوا مساعاً فقدحوا في الصحابة لأنه القدح في الرجل قدح في صاحبه وخليطه وهؤلاء كفار لاستحلالهم سب أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام (ومنهم) أقوام يلبسون على الناس بقراءة البخارى وغيره وهم لا يعتقدون البخارى ويسمونهم فيما بينهم بالفشارى ولهم خبائث عديدة كل واحدة كفر محقق . وبقي أمور لا أطول بذكرها فمن أراد الله به خيراً حماه من مجالسة هؤلاء لأن القلب سريع الانقلاب وقبول الرخص والشبه فإذا علقت به الشبهة والريبة فبعيد أن يرتفع عن قلبه غشاوة ما وقر فيه وأقل ما ينال القلب التردد والحيرة وذلك عين الفتنة ومراد الشيطان

دفع شبه من شبه وتمرد

فإن كان الذى دخلت قلبه الشبهة عامياً والمبتدع أدخلها عليه
بقال الله عز وجل وقال رسول الله ﷺ فبعيد أن يرجع ويتقشع
عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة لتحكم الشبهة بالدليل
وهذا من الهالكين إلا أن يتداركه الله برحمته لأن عمدة الناس
الكتاب والسنة والهلكة الجهلة يفهمونها على غير المراد منهما
على الوجه المرضى فمن حق العبد الطالب للنجاة حراسة قلبه
وسمعه عن خزاي خزعات المبتدعة وتزويق كلامهم وأن لا يغتر
بتقشفهم وكثرة تعبدهم وزهدهم ووصفهم لأنفسهم فإن ذلك من أقوى
حبائلهم التى يصطادون بها وبها تتشرب القلوب لبدعتهم
لاسيما من قلبه مشغوف بحب الدنيا إذا رأى زاهداً فيها مع
إكبابه على الكتاب والسنة مع الورع والزهد والعفة
والقناعة فلا شك ولا ريب أنه يرغب فيه غاية الرغبة
ويميل إليه غاية الميل ولا يصد عنه صاد كما هو
مشاهد من العوام ومحبتهم ورغبتهم لمن هو بهذه المثابة
فتنبه لذلك فقد أوضحت طريق السلامة والتباعد عن
مضان الهلكة فكم من شخص قصده صالح قد هلك بمثل
هؤلاء إخوان الشياطين وهو لا يشعر وعليك بالإقتداء
بالأطباء أعنى أطباء القلوب وهم الأنبياء عليهم السلام
لأنهم العالمون بأسباب الحياة الأخرية ثم أتباعهم الذين أخذوا
عنهم وشاهدوا منهم ما لم يشاهده غيرهم . شعر :

من كان يرغب في النجاة فماله غير إتباع المصطفى فيما بدا
فاتبع كتاب الله والسنن التى صحت فذاك إذا اتبعت هو الهدى
فالدين ما قال النبى وصحبه فإذا اقتديت بهم فنعم المقتدى

دفع شبه من شبه وتمرد

فسبحان الحليم الودود * الممهل الكريم العميم الجود * العالم
بخفايا الضمائر ودبيب النملة على الصخرة في الليالي السود *
ويرى جريان الماء في العود * القادر فكل ما سواه بقدرته
موجود * نزه نفسه بنفسه لعجز خلقه عن ذلك * فتعالى عن
الأشكال والأمثال والجهات والحدود * صفاته قديمة ثابتة بالنقل
والعقل فمن عطل وقع في الجحود * وتنزيهه عن النقائص والأشباه
محقق ومعلوم والتشبيه مذهب السامرة واليهود * وكف الكف
مشلولة بل مقطوعة وباب التشبيه مردوم ومسدود * فمن فتحه
هجمت عليه نار الوعيد فأهلكته كما هلك فرعون ونمرود *
وأصحاب الأخدود وعاد وثمود * فنسأل الله العافية من الفتن
ومن أسبابها ومن النار ذات الوقود * ونتوسل إليك بسيد الأولين
والآخرين محمد كما توسل به أبو البشر فقبلته فهو أحمد المحمود *
صاحب الحوض المورود * والمقام المحمود * فهو أعظم الوسائل
ولا يخيب من توسل به ولو كان من أهل الجحود * قال الله
تعالى : ﴿ وكنوا ﴾ أى اليهود ﴿ من قبل ﴾ أى بعث محمد ﷺ
﴿ يستفتحون ﴾ أى يستتصرون ﴿ على الذين كفروا ﴾ وهم
مشركوا العرب كانوا يقولون إذا حزبهم أمر أو دهمهم عدو اللهم
انصرنا بجاه النبي المبعوث آخر الزمان الذى نجد صفته في
التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لأعدائهم كغطفان وغيرها
من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلناه فنقتلكم
معه قتل عاد وثمود . فانظر أرشدك الله إلى قدره ودنو منزلته عند
ربه كيف قبل ﷺ التوسل به من اليهود مع علمه سبحانه وتعالى
بأنهم يكفرون به ولا يوقرونه ولا يعظمونه بل يؤذونه ولا يتبعون

النور الذى أنزل معه فمن منع التوسل به فقد نادى على نفسه وأعلم الناس بأنه أسوأ حالاً من اليهود . شعر :

أنت الملاذ لنا وأنت المرتجى	وبك اللياذ وأنت ملجأ من لجا
يا سيد الكونين يا من قد سما	معراجة فوق السماء وعرجا
يا سيد الثقلين والحكم الهدى	والمقصد الأسنى لأبواب الرجا
يا سيدا من أم باب مقامه	ألفاه خير مقام سؤل يرتجى
يا سيدا ما أمه من ضامه	ريب الزمان بخطبه الأنجا
يا سيدا جعل الآله وجوده	للعالمين المرتجى والملتجى
يا خاتم الرسل الكرام ومن به	رب البرية كل هم فرجا

(غيره)

وكن مستجيراً بالذى نال رفعة	إلى عزها ذل الملوك الأكاسر
نبي له جاه عريض ومنصب	عظيم له تعزى العلى والمفاخر
جليل جميل راحم متعطف	فصيح مليح كامل الحسن باهر
ألا يا رسول الله يا غاية المنى	لقد نلت فخراً ما لا دناء آخر
أيادة الأنباء يا جوهر الورى	هنيئاً لنفس في هواك تتاجر
لقد ربحت في بيعها وتنعمت	وقد سعت يا درها والجواهر
حبيبي رسول الله كن لى شافعاً	أغثنى أجرنى يوم تبلى السرائر
بجاهك آمال الضعيف تعلقت	إذا نصب الميزان والعقل طائر
فكن شافعى عند الآله فإنه	حليم كريم غافر الذنب سائر
مضى العمر في لهو وزهو وغفلة	وإنى عن الفعل الحميد لقاصر
فيارب داركنا بعفو ورحمة	فأنت جميل العفو للكسر جابر
وخذ بنواصينا وطهر قلوبنا	ومن يعفو منك فالعفو غامر
وصل على البدر من جبينه	بدا الشمس والأقمار والنجم زاهر

نجزت هذه الأحرف المباركات على قارئها ومستمعها المتأسين بأهل الحق التابعين للصفوة من أولى المعجزات المنزهين لرب العالمين والمعظمين لسيد الأولين والآخرين وسائر الأنبياء والمرسلين وسرج هذه الأمة من بعدهم كالصديقين وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وكنت قد عزمت على أن اقتصر على ذلك لأن في بعض ما ذكرته وقاية من المقت والمهالك ثم قيل لي وكرر على أن أهل التشبيه والتجسيم المزدريين بسيد الأولين والآخرين تبعاً لسلالة القردة والخنازير لهم وجود وفيهم كثرة وقد أخذوا بعقول كثير من الناس لما يزينون لهم من الإطراء على قدوتهم ويزخرفون لهم بالأقوال والأفعال ويموهون لهم بإظهار التنسك والإقبال على كثرة الصلاة والصوم والحج والتلاوة وغير ذلك مما يحسن في قلوب كثير من الرجال لاسيما العوام المائلين مع كل ريح اتباع الدجال فانقادوا لهم بسبب ذلك وأوقعوهم في أسر المهالك فرأيت بسبب هذه المكاييد والخزعات أن أتعرض لسوء عقيدتهم قمعاً لهذا الزائغ عن طريق أهل الحق وهم الأئمة الأربعة المقتدى بهم والمعول عليهم في جميع الأعصار والأقطار لأنهم النجوم الذين بهم يهتدى وقد بالغ جمع من الأخيار من المتعبدین وغيرهم من العلماء كأهل مكة وغيرها أن أذكر ما وقع لهذا الرجل من الحيدة عن طريق هذه الأئمة ولو كان أحرفاً يسيرة إما بالتصريح أو بالتلويح مشيرة فاستخرت الله عز وجل في ذلك مدة مديدة ثم قلت لا أبالك وتأمليت ما حصل وحدث بسببه من الإغواء والمهالك فلم يسعني عند ذلك أن أكتف ما علمت : وإلا ألجمت بلجام من نار ومقت وهأنا أذكر الرجل وأشير باسمه الذي شاع وذاع ،

واتسع به الباع وصار بل طار في أهل القرى والأمصار وأذكر بعض ما أنطوى باطنه الخبيث عليه وما عول في الإفساد بالتصريح أو الإشارة إليه ولو ذكرت كثيراً مما ذكره ودونه في كتبه المختصرات لطال جداً فضلاً عن المبسوطات وله مصنفات أخر لا يمكن أن يطلع عليها إلا من تحقق أنه على عقيدته الخبيثة ولو عصر هو وأتباعه بالعاصرات : لما فيها من الزيغ والقبائح النحسات : قال بعض العلماء من الحنابلة في الجامع الأموى في مأى من الناس : لو أطلع الحصنى على ما أطلعنا عليه من كلامه لأخرجه من قبره وأحرقه وأكد هؤلاء أن أتعرض لبعض ما وقفت عليه وما أفتى به مخالفاً لجميع المذاهب وما خطئ فيه وما أنتقد عليه واذكر بعض ما اتفق له من المجالس والمناظرات وما جاءت به المراسيم العاليات وأتعرض لبعض ما سلكه من المكاييد التى ظن بسببها أنه يخلص من ضرب السياط والحبوس وغير ذلك من الإهانات وهيهات فأول شئ سلكه من المكر والخديعة أن انتمى إلى مذهب الإمام أحمد وشرع يطلب العلم ويتعبد فمال إلى قلب المشايخ فشرعوا في إكرامه والتوسعة عليه فأظهر التعفف فزادوا في الرغبة فيه والوقوع عليه ثم شرع ينظر في كلام العلماء ويعلق في مسوداته حتى ظن أنه صار له قوة في التصنيف والمناظرة وأخذ يدون ويذكر أنه جاءه استفتاء من بلد كذا وليس لذلك حقيقة فيكتب عليها صورة الجواب ويذكر ما لا ينتقد عليه وفي بعضها ما يمكن أن ينتقد إلا أنه يشير إليه على وجه التلبيس بحيث لا يقف على مراده إلا حاذق عالم متقن فإذا ناظر أمكنه أن يقطع من ناظره إلا ذلك المتقن الفطن ثم مع ذلك شرع يتلقى الناس

بالأنس وبسط الوجه ولين الكلام ويذكر أشياء تحلو للنفس لاسيما الألفاظ العذبة مع اشتغالها على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة فطلبوا منه أن يذكر الناس ففعل فطار ذكره بالعلم والتعبد والتعفف ففرع الناس إليه بالأسئلة فكان إذا جاءه أحد يسأله عن مسألة قال له : عاودني فيها فإذا جاءه قال هذه مسألة مشكلة ولكن لك عندي مخرج أقوله لك بشرط فإنني أتقلدها في عنقي فيقول أنا أوفى لك فيقول أن تكتم على فيعطيه العهد والمواثيق على ذلك فيفتيه بما فيه فرجة حتى صار له اتباع كثيرة يقومون بنصرته ، إن لو عرض له عارض ثم إنه علم إن ذلك لا يخلصه فكان إذا كان في بعض المجالس قال إنا لله وإنا إليه راجعون قد انفتقت فتوق من أنواع المفساد يبعد ارتفاقها ولو كان لي حكم لكنت أجعل فلاناً وزيراً وفلاناً محتسباً وفلاناً دويداراً وفلاناً أمير البلد فيسمع أولئك وفي قلوبهم من تلك المناصب فكانوا يقومون في نصرته . ثم اعلم أن مثل هؤلاء قد لا يقدرّون على مقاومة العلماء إذا قاموا في نحره فجعل له مخلصاً منهم بأن ينظر إلى من الأمر إليه في ذلك المجلس فيقول له ما عقيدة إمامك فإذا قال كذا وكذا قال أشهد أنها حق وأنا مخطئ واشهدوا أني على عقيدة إمامك وهذا كان سبب عدم إراقة دمه فإذا انفض المجلس أشاع أتباعه أن الحق في جهته ومعه وأنه قطع الجميع ألا ترون كيف خرج سالماً حتى حصل بسبب ذلك افتتاح خلق كثير لاسيما من العوام فلما تكرر ذلك منه علموا أنه إنما يفعل ذلك خديعة ومكراً فكانوا مع قوله ذلك يسجنونه ولم يزل ينتقل من سجن إلى سجن حتى أهلكه الله عز وجل في سجن الزندقة والكفر ومن قواعده المقررة عنده وجرى عليها أتباعه

التوقى بكل ممكن حقاً كان أو باطلاً ولو بالأيمان الفاجرة سواء كانت بالله عز وجل أو بغيره ، وأما الحلف بالطلاق فإنه لا يوقعه البتة ولا يعتبره سواء كان بالتصريح أو بالكناية أو التعليق أو التنجيز وهذا مذهب فرقة الشيعة فإنهم لا يرونه شيئاً وإشاعته هو وأتباعه أن الطلاق الثلاث واحدة خزعات ومكر وإلا فهو لا يوقع طلاقاً على حالف به ولو أتى به في اليوم مائة مرة على أى وجه سواء كان حثاً أو منعاً أو تحقيق خبر فاعرف ذلك ، وأن مسألة الثلاث إنما يذكرونها تستراً وخديعة وقد وقفت على مصنف له في ذلك^(١) وكان عند شخص شريف زينبي وكان يرد الزوجة إلى زوجها في كل واقعة بخمسة دراهم وإنما أطلعني عليه لأنه ظن أنى منهم فقلت له : يا هذا أتترك قول الإمام أحمد وقول بقية الأئمة بقول ابن تيمية فقال : أشهد على أنى تبت وظهر لى أنه كذب في ذلك ولكن جرى على قاعدتهم في التستر والتقية فنسأل الله العافية من المخادعة فإنها صفة أهل الدرك الأسفل^(٢) ثم اعلم قبل الخوض في ذكر بعض ما وقع منه وانتقد منه عليه أنه يذكر في بعض مصنفاته كلام رجل من أهل الحق ويدس في غضونه شيئاً من معتقده الفاسد فيجرى عليه الغبى بمعرفة كلام أهل الحق فيهلك وقد هلك بسبب ذلك خلق كثير وأعرق من ذلك أنه يذكر أن ذلك الرجل ذكر ذلك في الكتاب الفلانى وليس لذلك الكتاب حقيقة وإنما قصده بذلك انفضاض المجلس ويؤكد قوله بأن يقول ما يبعد أن

(١) هذا شئ منمش جداداً ولولا أن هذا الذى يحكيه الإمام الحصى المعروف بشحه على دينه ما وجد ما يحكيه إلى القلوب سبيلاً ا هـ مصححه

(٢) لا يتردد عاقل في أن ما سيحكيه الإمام الحصى بعد فعل دجاجة لا علماء فليقرأه العاقل وليعجب كيف يكون من هذه بلاياهم أئمة في دين الله ا هـ مصححه

هنا ويشير إلى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان) وفي رواية : (إن الفتنة ههنا) ثلاثاً وفي رواية : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة رضى الله عنها فقال : (رأس الكفر ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان) وهذا المبتدع من حران الشرق بلدة لا تزال يخرج منها أهل البدع كجعد وغيره في سنن أبي داود من حديث أبي سعيد الخدرى وأنس رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال : (سيكون في أمتى اختلاف وفرقة يحسنون القيل ويسئون الفعل يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شئ من قتلهم كان أولى بالله منهم : قالوا يا رسول الله وما سيماهم قال : التحليق والتسبيد فإذا رأيتموهم فأنيموهم) أى اقتلوهم والتسبيد هو الحلق واستئصال الشعر وقيل ترك التدن وغسل الرأس وغير ذلك والأحاديث في ذلك كثيرة وفي واحد كفاية لمن أراد الله عز وجل به الرشد والهداية فقد أوضحهم سيد الناصحين صلى الله عليه وسلم باعتبار أوصافهم وأماكنهم أيضاً جلياً لا خفاء فيه ولا جهالة فلا يتوقف في معرفتهم بعد ذلك إلا من أراد الله تعالى إضلاله وإذا تمهد لك هذا أيها الراغب في فكاك نفسك من ربقة عقائد أهل الزيغ الضالين المضلين والإقْداء بأهل السلامة في الدين . فاعلم أنى نظرت في كلام هذا الخبيث الذى في قلبه مرض الزيغ : المتتبع ما تشابه في الكتاب والسنة ابتغاء الفتنة وتبعه على ذلك خلق من العوام وغيرهم ممن أراد الله عز وجل إهلاكه فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق

به^(١) ولا لى أنامل تطاو عنى على رسمه وتسطيره لما فيه من تكذيب رب العالمين في تنزيهه لنفسه في كتابه المبين . وكذا الازدراء بأصفيائه المنتخبين وخلفائهم الراشدين وأتباعهم الموفقين فعدلت عن ذلك إلى ذكر ما ذكره الأئمة المتقون وما اتفقوا عليه من تبديعه وإخراجه ببعضه من الدين فمنه ما دون في المصنفات ومنه ما جاءت به المراسيم العليا وأجمع عليه علماء عصره ممن يرجع إليهم في الأمور الملهمات والقضايا المهمات وتضمنه الفتاوى الزكيات من دنس أهل الجهالات ولم يختلف عليه أحد كما اشتهر بالقراءة والمناداة على رعوس الأَشهاد في المِجامع الجامعة حتى شاع وذاع واتسع به الباع حتى في الفلوات فمن ذلك نسخة المرسوم الشريف السلطاني^(٢) ناصر الدنيا والدين محمد ابن قلاوون رحمه الله تعالى وقرئ على منبر جامع دمشق نهار الجمعة سنة خمس وسبعمائة . (صورته) .

* * *

(١) ليتأمل هذا فإنه عجيب ا هـ مصححه
(٢) لفظ ناصر الدين صفة لموصوف محذوف قطعاً ليستقيم الكلام والتقدير الصادر من السلطان ناصر الدين الخ ا هـ مصححه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تنزهه عن الشبيه والنظير . وتعالى عن المثل فقال تعالى : ﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴾ . أحمدته على ما ألهمنا من العمل بالسنة والكتاب . ورفع في أيامنا أسباب الشك والارتباب . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير . وينزه خالقه عن التحيز في جهة لقوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى نهج سبيل النجاة لمن سلك سبيل مرضاته وأمر بالتفكر في الآيات ونهى عن التفكير في ذاته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين علا بهم منار الإيمان وارتفع ، وشيد الله بهم من قواعد الدين الحنيفى ما شرع : وأحمد بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع : وبعد فإن القواعد الشرعية : وقواعد الإسلام المرعية : وأركان الإيمان العلمية : ومذاهب الدين المرضية هى الأساس الذى يبنى عليه ، والموئل الذى يرجع كل أحد إليه والطريق التى من سلكها فاز فوزاً عظيماً ، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً ولهذا يجب أن تتعقد أحكامها ، ويؤكد دوامها وتصان عقائد هذه الأمة عن الاختلاف وتزان بالرحمة والعطف والائتلاف ، وتخذ ثوائر البدع ويفرق من فرقها ما اجتمع : وكان ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه ومد بجهله عنان كلمه وتحدث بمسائل الذات والصفات ونص في كلامه الفاسد على أمور منكرات وتكلم فيما سكت عنه أصحابه والتابعون وفاه بما أجتنبه الأئمة الأعلام الصالحون ، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام وانعقد على خلافه إجماع العلماء

والحكام ، وشهر من فتاويه ما استخف به عقول العوام ، وخالف في ذلك فقهاء عصره ، وأعلام علماء شامه ومصره ، وبث به رسائله إلى كل مكان وسمى فتاويه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، ولما اتصل بنا ذلك وما سلك به هو ومريدوه ، من هذه المسالك الخبيثة وأظهره ، من هذه الأحوال وأشاعوه ، وعلمنا أنه استخف قومه فأطاعوه ، وحتى اتصل بنا أنهم صرخوا في حق الله سبحانه بالحرف والصوت والتشبيه والتجسيم فقمنا في نصرة الله مشفقين من هذا النبأ العظيم ، وأنكرنا هذه البدعة وعزنا^(١) أن يشيع عن تضمنه ممالكه هذه السمعة : وكرهنا ما فاه به المبطلون : وتلونا قوله تعالى : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ فإنه سبحانه وتعالى تنزه في ذاته وصفاته عن العديل والنظير : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ فتقدمت مراسيمنا باستدعاء ابن تيمية المذكور إلي أبوابنا : حين ما سارت فتاويه الباطلة في شامنا ومصرنا : وصرح فيها بألفاظ ما سمعها ذو فهم إلا وتلا قوله تعالى : ﴿ لقد جنت شيئا نكرا ﴾ ولما وصل إلينا الجمع أولوا العقد والحل ، وذوو التحقيق والنقل ، وحضر قضاة الإسلام ، وحكام الأنعام ، وعلماء المسلمين ، وأئمة الدنيا والدين ، وعقد له مجلس شرعي في ملا من الأئمة وجمع من له دراية في مجال النظر ودفع . فثبت عندهم جميع ما نسب إليه بقول من يعتمد ويعول عليه ، وبمقتضى خط قلمه الدال على منكر

(١) هذه الفقرة محرفة ومعناها ليس بظاهر والذي يظهر أن أصلها وعزنا أن يشيع عن تضمنه ممالكه هذه السمعة - يستعيز السلطان بالله أن يشيع عنه هو تلك السمعة لأن الرجل في مملكته أهـ مصححه .

معتقده^(١) وانفصل ذلك الجمع وهم لعقيدته الخبيثة منكرون . وأخذوه بما شهد به قلمه تالين « ستكتب شهادتهم ويسألون » وبلغنا أنه قد استتيب مراراً فيما تقدم وأخره الشرع الشريف لما تعرض لذلك . وأقدم ثم عاد بعد منعه ولم يدخل ذلك في سمعه ، ولما ثبت ذلك في مجلس الحاكم المالكي حكم الشرع الشريف أن يسجن هذا المذكور ويمنع من التصرف والظهور . ويكتب مرسومنا هذا بأن لا يسلك أحد ما سلكه المذكور من هذه المسالك . وينهي عن التشبيه في اعتقاد مثل ذلك أو يعود له في هذا القول متبعاً ، أو لهذه الألفاظ مستمعاً أو يسرى في التشبيه مسراه أو يفوه بجهة العلو بمافاه ، أو يتحدث أحد بحرف أو صوت أو يفوه بذلك إلي الموت . أو ينطق بتجسيم أو يحيد عن الطريق المستقيم ، أو يخرج عن رأى الأئمة . أو ينفرد به عن علماء الأمة . أو يحيز الله سبحانه وتعالى في جهة أو يتعرض إلى حيث وكيف . فليس لمعتقد هذا إلا السيف^(٢) فليقف كل واحد عند هذا الحد والله الأمر من قبل ومن بعد وليلزم كل واحد من الحنابلة بالرجوع عن كل ما أنكره الأئمة من هذه العقيدة . والرجوع عن الشبهات الذائعة الشديدة ولزوم ما أمر الله تعالى به والتمسك بمسالك أهل الإيمان الحميدة . فإنه من خرج عن أمر الله فقد ضل سواء السبيل . ومثل هذا ليس له إلا التنكيل والسجن الطويل مستقره ومقيله وبئس المقيـل . وقد رسمنا بأن ينادى في دمشق المحروسة والبلاد الشامية وتلك الجهات الدنية والقصية بالنهاى الشديد والتخويف والتهديد . لمن اتبع

(١) ليحفظ هذا ثم ليحفظه المغرورون ا هـ مصححه .

(٢) لينظر هذا كذلك ا هـ مصححه

ابن تيمية في هذا الأمر الذي أوضحناه ومن تابعه تركناه في مثل مكانه وأحللناه ووضعناه من عيون الأمة كما وضعناه ومن أصر على الامتناع وأبى إلا الدفاع أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم وأسقطناهم من مراتبهم مع إهانتهم وأن لا يكون لهم في بلادنا حكم ولا ولاية ولا شهادة ولا إمامة بل ولا مرتبة ولا إقامة . فإننا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد وأبطلنا عقيدته الخبيثة التي أضل بها كثيراً من العباد أو كاد بل كم أضل بها من خلق وعاثوا بها في الأرض الفساد ولتثبت المحاضر الشرعية على الحنابلة بالرجوع عن ذلك وتسير المحاضر بعد إثباتها على قضاة المالكية وقد اعذرنا وحذرنا وانصفنا حيث أنذرنا وليقرأ مرسومنا الشريف على المنابر ليكون أبلغ واعظ وزاجر لكل باد وحاضر والاعتماد على الخط الشريف أعلاه وكتب ثامن^(١) عشرين شهر رمضان سنة خمس وسبعمائة^(٢) وأزيد على ذلك ما ذكره صاحب عيون التواريخ وهو ابن شاکر ويعرف بصلاح الدين الكتبي وبالتريكي وكان من اتباع ابن تيمية وضرب الضرب البليغ لكونه لمؤذن في مأذنة العروس وقت السحر أشركت حين قال :

ألا يا رسول الله أنت وسيلتي إلى الله في غفران ذنبي وزلتي وأرادوا ضرب عنقه ثم جددوا إسلامه وإنما أذكر ما قاله لأنه أبلغ في حق ابن تيمية في إقامة الحجة عليه مع أنه أهمل أشياء من خبئه ولؤمه لما فيها من المبالغة في إهانة قدوته والعجب أن ابن تيمية ذكرها وهو سكت عنها .

(١) كذا بالأصل والمعنى ظاهر ولعل الأصل في ثامن وعشرين من شهر الخ وكذا ما يأتي يقال فيه ذلك ا هـ مصححه
(٢) إن في ذلك عبرة لأولى الأبصار ا هـ مصححه

كلام ابن تيمية في الاستواء ووثوب الناس عليه

فمن ذلك ما أخبر به أبو الحسن على الدمشقي في صحن الجامع الأموي عن أبيه قال كنا جلوساً في مجلس ابن تيمية فذكر ووعظ وتعرض لآيات الاستواء ثم قال : " واستوى الله على عرشه كاستوائى هذا " . قال فوثب الناس عليه وثبة واحدة وأنزلوه من الكرسي وبادروا إليه ضرباً بالكف والنعال وغير ذلك حتى أوصلوه إلى بعض الحكام واجتمع في ذلك المجلس العلماء فشرع يناظرهم فقالوا ما الدليل على ما صدر منك فقال قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فضحكوا منه وعرفوا أنه جاهل لا يجرى على قواعد العلم ثم نقلوه ليتحققوا أمره فقالوا ما تقول في قوله تعالى : ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ فأجاب بأجوبة تحققوا أنه من الجهلة على التحقيق وأنه لا يدري ما يقول وكان قد غره بنفسه ثناء العوام عليه وكذا الجامدين^(١) من الفقهاء العارين عن العلوم التي بها يجتمع شمل الأدلة على الوجه المرضي وقد رأيت في فتاويه ما يتعلق بمسألة الاستواء وقد أطنب فيها وذكر أموراً كلها تلبيسات وتجريات خارجة عن قواعد أهل الحق . والناظر فيها إذا لم يكن ذو علوم وفطنة وحسن رؤية ظن أنها على منوال مرضي ومن جملة ذلك بعد تقريره وتطويله : أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة ، كما جمع الله بينهما في قوله تعالى :

(١) كذا بالأصل وليس بخفى أن لفظ الجامدين حقها الجامدون وكذا العارون ا هـ —
مصححه

﴿ هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شئ وهو معنا أينما كنا هذه عبارته بحروفها : فتأمل أرشدك الله تعالى هذا التهافت وهذه الجرأة بالكذب على الله تعالى أنه سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه أنه فوق العرش ومحتجاً بلفظ الاستواء الذى هو موضوع بالاشتراك ومن قبيل المجل و هذا وغيره مما هو كثير فى كلامه يتحقق به جهله وفساد تصوره وبلادته وكان بعضهم يسميه حاطب ليل وبعضهم يسميه الهدار المهدار . وكان الإمام العلامة شيخ الإسلام فى زمانه أبو الحسن على ابن إسماعيل القنوى يصرح بأنه من الجهلة بحيث لا يعقل ما يقول ويخبر أنه أخذ مسألة التفرقة (١) عن شيخه الذى تلقاها عن أفراخ السامرة واليهود الذين أظهروا التشرف بالإسلام وهو (٢) من أعظم الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وقتل على رضى الله عنه واحداً منهم تكلم فى مجلسه كلمة فيها ازدراء بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد وقفت على مسألة أعنى مسألة التفرقة التى أثارها اليهود ليزدروه بها وبحثوا فيها على قواعد مأخوذة من الاشتقاق وكانوا يقطعون بها الضعفاء من العلماء فتصدى لهم الجهابذة من العلماء وأفسدوا ما قالوه بالنقل والعقل والاستعمال الشرعى والعرفى وأبادوهم بالضرب بالسياط وضرب الأعناق ولم يبق منهم إلا الضعفاء فى العلم ودامت فيهم مسألة

(١) ظاهر أنها الفوقية وكذا ما يأتى بعد كالسياق أو التفرقة بين حياة الرسول ومماته

أ هـ مصححه

(٢) ظاهر أن هذا اللفظ هم لا هو أ هـ مصححه

التفرقة حتى تلقاها ابن تيمية عن شيخه وكنت أظن أنه ابتكرها
وانفق الحذاق في زمانه من جميع المذاهب على سوء فهمه وكثرة
خطئه وعدم إدراكه للمآخذ الدقيقة وتصورها . عرفوا ذلك منه
بالمفاوضة في مجالس العلم . ولنرجع إلى ما ذكره ابن شاكِر في
تاريخه ذكره في الجزء العشرين قال : وفي سنة خمس وسبعمئة
في ثامن رجب عقد مجلس بالقضاة والفقهاء بحضرة نائب السلطنة
بالقصر الأبلق : فسئل ابن تيمية عن عقيدته فأملى شيئاً منها ثم
أحضرت عقيدته الواسطية وقرئت في المجلس ووقعت بحوث
كثيرة وبقيت مواضع أخرت إلى مجلس ثانٍ ثم اجتمعوا يوم الجمعة
ثاني عشر رجب وحضر المجلس صفى الدين الهندي وبحثوا ثم
اتفقوا على أن كمال الدين بن الزمكاني يحاقيق ابن تيمية ورضوا
كلهم بذلك فأفحم كمال الدين ابن تيمية وخاف ابن تيمية على نفسه
فأشهد على نفسه الحاضرين أنه شافعي المذهب ويعتقد ما يعتقده
الإمام الشافعي فرضوا منه بذلك وانصرفوا ثم إن أصحاب ابن
تيمية أظهروا أن الحق ظهر مع شيخهم وأن الحق معه فأحضروا
إلى مجلس القاضي جلال الدين القزويني وأحضروا ابن تيمية
وصفح ورسم بتعزيره فشفع فيه وكذلك فعل الحنفى باثنين من
أصحاب ابن تيمية ، ثم قال ولما كان سلخ رجب جمعوا القضاة
والفقهاء وعقد مجلس بالميدان أيضاً وحضر نائب السلطنة أيضاً
وتباحثوا في أمر العقيدة وسلك معهم المسلك الأول فلما كان بعد
أيام ورد مرسوم السلطان صعبة بريدى من الديار المصرية
بطلب قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى وبابن تيمية وفي
الكتاب (تعرفونا ما وقع في سنة ثمان وتسعين في عقيدة

ابن تيمية (فطلبوا الناس وسألوهم عما جرى لابن تيمية في أيام نقل عنه فيها كلام قاله واحضروا للقاضى جلال الدين القزوينى العقيدة التى كانت أحضرت في زمن قاضى القضاة إمام الدين وتحدثوا مع ملك الأمراء في أن يكاتب في هذا الأمر فأجاب فلما كان ثانى يوم وصل مملوك ملك الأمراء على البريد من مصر وأخبر أن الطلب على ابن تيمية كثير وأن القاضى المالكى قائم في قضيته قياماً عظيماً وأخبر بأشياء كثيرة من الحنابلة وقعت في الديار المصرية وأن بعضهم صفع فلما سمع ملك الأمراء بذلك انحلت عزائمة عن المكاتبه وسير شمس الدين بن محمد المهمندار إلى ابن تيمية وقال له : قد رسم مولانا ملك الأمراء بأن تسافر غداً وكذلك راح إلى قاضى القضاة فشرعوا في التجهيز وسافر صحبة ابن تيمية أخواه عبد الله وعبد الرحمن وسافر معهم جماعة من أصحاب ابن تيمية ، وفي سابع شوال وصل البريدى إلى دمشق وأخبر بوصولهم إلى الديار المصرية وأنه عقد لهم مجلس بقلعة القاهرة بحضرة القضاة والفقهاء والعلماء والأمراء . فتكلم الشيخ شمس الدين عدنان الشافعى وادعى على ابن تيمية في أمر العقيدة . فذكر منها فصولاً فشرع ابن تيمية فحمد الله تعالى وأثنى عليه وتكلم بما يقتضى الوعظ فقليل له يا شيخ إن الذى نقول له نحن نعرفه وما لنا حاجة إلى وعظك وقد أدعى عليك بدعوى شرعية فأجب ، فأراد ابن تيمية أن يعيد التحميد فلم يمكنه من ذلك بل قيل له أجب فتوقف وكرر عليه القول مراراً فلم يزداهم على ذلك شيئاً وطال الأمر فعند ذلك حكم القاضى المالكى بحبسه وحبس أخويه معه فحبسوه في برج من أبراج القلعة فتردد إليه جماعة من

الأمراء فسمع القاضى بذلك فاجتمع بالأمراء وقال : يجب عليه التضييق إذا لم يقتل وإلا فقد وجب قتله وثبت كفره فنقلوه إلى الجب بقلعة الجبل ونقلوا أخويه معه بإهانة ، وفى سادس عشر ذى القعدة وصل من الديار المصرية قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى وجلس يوم الجمعة فى الشباك الكمالى وحضر القراء والمنشدون وأنشدت التهاني ، وكان وصل معه كتب ولم يعرضها على نائب السلطنة فلما كان بعد أيام عرضها عليه فرسم ملك الأمراء بقراءتها والعمل بما فيها امتثالاً للمراسيم السلطانية وكانوا قد بيتوا على الحنابلة كلهم بأن يحضروا إلى مقصورة الخطابة بالجامع الأموى بعد الصلاة . وحضر القضاة كلهم بالمقصورة وحضر معهم الأمير الكبير ركن الدين ببيرس العلانى وأحضروا تقليد القضاة نجم الدين بن صصرى الذى حضر معه من مصر باستمراره على قضاء القضاة وقضاء العسكر ونظر الأوقاف وزيادة المعلوم وقرئ عقية الكتاب الذى وصل على يديه وفيه ما يتعلق بمخالفة ابن تيمية في عقيدته وإلزام الناس بذلك خصوصاً الحنابلة والوعيد الشديد عليهم والعزل من المناصب والحبس وأخذ المال والروح لخروجهم بهذه العقيدة عن الملة المحمدية ونسخة الكتاب نحو الكتاب المتقدم وتولى قراءته شمس الدين محمد بن شهاب الدين الموقع وبلغ عنه الناس ابن صبح المؤذن وقرئ بعده تقليد الشيخ برهان الدين بالخطابة . وأحضروا بعد القراءة الحنابلة مهانين بين يدي القاضى جمال الدين المالكى بحضور باقى القضاة واعترفوا أنهم يعتقدون ما يعتقد محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه وفى سابع شهر صفر سنة ثمان عشرة ورد مرسوم السلطان بالمنع من الفتوى فى

مسألة الطلاق الذى يفتى بها ابن تيمية وأمر بعقد مجلس له بدار السعادة وحضر القضاة وجماعة من الفقهاء وحضر ابن تيمية وسأله عن فتاويه في مسألة الطلاق وكونهم نهوه وما انتهى ولا قبل مرسوم السلطان ولا حكم الحكام بمنعه فأنكر فحضر خمسة نفر فذكروا عنه أنه أفتاهم بعد ذلك فأنكر وصمم على الإنكار فحضر ابن طليش وشهود شهدوا أنه أفتى لحاماً أسمه قمر مسلماني في بستان ابن منجا فقيل لابن تيمية : أكتب بخطك أنك لا تفتى بها ولا بغيرها فكتب بخطه أنه لا يفتى بها وما كتب بغيرها فقال القاضي نجم الدين ابن صبرى حكمت بحبسك واعتقالك فقال له حكمك باطل لأنك عدوى فلم يقبل منه وأخذوه واعتقلوه في قلعة دمشق وفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة يوم عاشوراء أفرج عن ابن تيمية من حبسه بقلعة دمشق وكانت مدة اعتقاله خمسة أشهر ونصف . وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة في السادس عشر من شعبان قدم بريدى من الديار المصرية ومعه مرسوم شريف باعتقال ابن تيمية فاعتقل في قلعة دمشق وكان السبب في اعتقاله وحبسه أنه قال (لا تشد الرحال إلا ثلاثة مساجد : وإن زيارة قبور الأنبياء لا تشد إليها الرواحل كغيرها كقبر إبراهيم الخليل وقبر النبي صلى الله عليه وسلم) ثم إن الشاميين كتبوا فتياً أيضاً في ابن تيمية لكونه أول من أحدث هذه المسألة التي لا تصدر إلا ممن في قلبه ضغينة لسيد الأولين والآخرين فكتب عليه الإمام العلامة برهان الدين الفزارى نحو أربعين سطراً بأشياء وآخر القول أنه أفتى بتكفيره ووافقه على ذلك الشيخ شهاب الدين ابن جهل الشافعى وكتب تحت خطه كذلك المالكي وكذلك كتب غيرهم ووقع الاتفاق على تضليله

بذلك وتبديعه وزندقته ثم أراد النائب أن يعقد لهم مجلساً ويجمع العلماء والقضاة فرأى أن الأمر يتسع فيه الكلام ولا بد من إعلام السلطان بما وقع فأخذ الفتوى وجعلها في مطالعه وسيرها فجمع السلطان لها القضاة فلما قرئت عليهم أخذها قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وكتب عليها " القائل بهذه المقالة ضال مبتدع " ووافقه على ذلك الحنفى والحنبلى فصار كفره مجمعاً عليه^(١) ثم كتب كتاب إلى دمشق بما يعتمده نائب السلطنة في أمره وفي يوم الجمعة عاشر شهر شعبان حضر كتاب السلطان إلى نائب البلد وأمره أن يقرأ على السدة في يوم الجمعة فقرأ وكان قارئ الكتاب بدر الدين بن الأعزازى الموقع والمبلغ ابن النجيبى المؤذن ومضمون الكتاب بعد البسملة . أدام الله تعالى نعمه ونوضح لعلمه الكريم ورود مكاتبتة التى جهزها بسبب ابن تيمية فوقفنا عليها وعلمنا مضمونها في أمر المذكور وإقدامه على الفتوى بعد تكرير المراسيم الشريفة بمنعه حسب ما حكم به القضاة وأكابر العلماء وعقدنا بهذا السبب مجلساً بين أيدينا الشريفة ورسمنا بقراءة الفتوى على القضاة والعلماء . فذكروا جميعاً من غير خلف أن الذى أفتى به ابن تيمية فى ذلك خطأ مردود عليه وحكموا بزجره وطول سجنه ومنعه من الفتوى مطلقاً وكتبوا خطوطهم بين أيدينا على ظاهر الفتوى المجهزة بنسخة ما كتبه ابن تيمية وقد جهزنا إلى الجناوب العالى طى هذه المكاتبة فيقف على حكم ما كتب به القضاة الأربعة ويتقدم اعتقال المذكور فى قلعة دمشق ويمنع من الفتوى مطلقاً ويمنع الناس من الاجتماع به والتردد إليه تضيقاً عليه

(١) لينظر هذا المغرورون اهـ مصححه

لجراته على هذه الفتوى فيحيط به علمك الكريم ويكون اعتماده بحسب ما حكم به الأئمة الأربعة وأفتى به العلماء في السجن للمذكور وطول سجنه فإنه في كل وقت يحدث للناس شيئاً منكراً وزندقة يشغل خواطر الناس بها ويفسد على العوام عقولهم الضعيفة وعقلياتهم وعقائدهم فيمنع ما ذلك وتسد الذريعة منه فليكن عمله على هذا الحكم ويتقدم أمره به وإذا اعتمد الجنب الرفيع العالی هذا الاعتماد الذي رسمنا به في أمر ابن تيمية فيتقدم منع من سلك مسالكه أو يفتى بهذه الفتاوى أو يعمل بها في أمر الطلاق أو هذه القضايا المستحدثة وإذا اطلع على أحد عمل بذلك أو أفتى به فيعتبر حاله فإن كان من مشايخ العلماء فيعزر تعزير مثله وإن كان من الشبان الذين يقصدون الظهور كما يقصده ابن تيمية فيؤديهم ويردعهم ردعاً بليغاً ويعتمد في أمر ما يجسم به مواد أمثاله لتستقيم أحوال الناس وتمشى على السداد ولا يعود أحد يتجاسر على الإفتاء بما يخالف الإجماع ويبتدع في دين الله عز وجل من أنواع الاقتراح مالم يسبقه أحد إليه فالجنب العالی يعتمد هذه الأمور التي عرفناه إياها الآن وسد الذرائع فيها وقد عجلنا بهذا الكتاب وبقية فصول مكاتبتة تصل بعد هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . وكتب في سابع عشرين رجب سنة ست وعشرين وسبعمائة : صورة الفتوى من المنقول من خط القضاة الأربعة بالقاهرة على ظاهر الفتوى . الحمد لله هذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قوله : إن زيارة الأنبياء والصالحين بدعة وما ذكره من نحو ذلك وإنه لا يرخص بالسفر لزيارة الأنبياء . باطل مردود عليه . وقد نقل جماعة من العلماء : أن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وسنة

دفع شبه من شبه وتمرد

مجمع عليها وهذا المفتى المذكور ينبغي أن يزجر عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء ويمنع من الفتاوى الغريبة ويجلس^(١) إذا لم يمتنع من ذلك ويشهر أمره ليحتفظ الناس من الاقتداء به وكتبه محمد ابن إبراهيم ابن سعد الله بن جماعة الشافعى . وكذلك يقول محمد بن الجريرى الأنصارى الحنفى لكن يحبس الآن جزماً مطلقاً وكذلك يقول محمد ابن أبى بكر المالكى ويبالغ فى زجره حسبما تندفع به المفسدة وغيرها من المفاسد . وكذلك يقول احمد بن عمر المقدسى الحنبلى . ووجدوا صورة فتوى أخرى يقطع فيها بأن زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها وهذه الفتوى هى التى وقف عليها الحكام وشهد بذلك القاضى جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى فلما رأوا خطه عليها فتحققوا فتواه فغاروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره عظيمة وللمسلمين الذين ندبوا إلى زيارته وللزائرين من أقطار الأرض واتفقوا على تبديعه وتضليله وزيفه وأهانوه ووضعوه فى السجن . وذكر الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الذهبى بعض محنته وأن بعضها كان فى سنة خمس وسبعمائة وكان سؤا لهم عن عقيدته وعما ذكر فى الواسطة وطلب وصورت عليه دعوى المالكى فسجن هو وأخواه بضعة عشر شهراً ثم أخرج ثم حبس فى حبس الحاكم وكان مما ادعى عليه بمصر أن قال (الرحمن استوى على العرش) حقيقة وأنه تكلم بحرف وصوت ثم نودى بدمشق وغيرها : من كان على عقيدة ابن تيمية حل ماله

(١) ظاهر أن اللفظ ويحبس لا يجلس اهـ مصححه

ودمه^(١) . وذكر أبو حيان النحوى الأندلسى فى تفسيره المسمى بالنهر فى قوله تعالى : ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ ما صورته وقد قرأت فى كتاب لأحمد ابن تيمية هذا الذى عاصرناه وهو بخطه سماه كتاب العرش (إن الله يجلس على الكرسي) وقد أخلى مكاناً يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تحيل عليه التاج محمد بن على بن عبد الحق وكان من تحيله عليه أنه أظهر أنه داعية له حتى أخذ منه الكتاب وقرأنا ذلك فيه . ورأيت فى بعض فتاويه أن الكرسي موضع القدمين وفى كتابه المسمى بالتدمرية ما هذا لفظه بحروفه بعد أن قرر ما يتعلق بالصفات المتعلقة بالخالق والمخلوق (ثم من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حى عليم قادر لم يقل المسلمون أن ظاهر هذا غير مراد لأن المفهوم ذلك فى حقه مثل مفهومه فى حقنا فكذلك لما وصف نفسه أنه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك أن ظاهره غير مراد لأن مفهوم ذلك فى حقه مثل مفهومه فى حقنا) هذه عبارته بحروفها وهى صريحة فى التشبيه المساوى كما أنه جعل الاستواء على العرش مثل قوله تعالى : ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ تعالى الله وتقدس عن ذلك وقال فى الكلام على حديث النزول المشهور (أن الله ينزل إلى سماء الدنيا إلى مرجة خضراء وفى رجليه نعلان من ذهب) هذه عبارته الزائغة الركيكة وله من هذا النوع وأشباهه مغالاة فى التشبيه حريصاً على ظاهرها واعتقادها وإبطال ما نزه الله تعالى به نفسه فى أشرف كتبه وأمر به عمومياً وخصوصاً ، وذكره إخباراً عن الملائكة الأعلى والكون العلوى والسفلى . ومن

(١) ليتأمل العاقل هذا ثم ليتأمله اهـ مصححه

تأمل القرآن وجده مشحوناً بذلك وهذا الخبيث لا يعرج على ما فيه التنزيه وإنما يتتبع المتشابه ويمعن الكلام فيه وذلك من أقوى الأدلة على أنه من أعظم الزائغين ومن له أدنى بصيرة لا يتوقف فيما قلته إذا القرائن لها اعتبار في الكتاب والسنة وتفيد القطع وتقيد ترتب الأحكام الشرعية لاسيما في محل الشبه . قال بعض السلف رضى الله عنهم ، الإعراض عن الحق والتسخط له علامة الركون إلى الباطل . وطريق الحق دقيق وبعيد ، والصبر معه شديد ، والعدو لا يزال عنه يحيد ، وأثقال الحق لا يحملها إلا مطايا الحق ، وقال بغض السلف : داعى الحق داعى رشد ليس للشيطان يد فيه ، ولا للنفس فيه نصيب ، وداعى الباطل من نزعات الشيطان وهوى النفس ومتبعها هالك لا محالة لأنه عاص فى صورة طائع : ومبعد فى صورة مقرب : وصدق ونصح رضى الله عنه فقد هلك بسبب ذلك خلق لا يحصون عدداً : ولا يمكن ضبطهم حداً . قال العلماء : أن وسوسة التشبيه من إبليس فالرد عليه وإبطال وسوسته أن يقول فى نفسه كل ما تصور فى صدرى فالرب بخلافه فإنه لا يتصور فى صدرى إلا مخلوق له كيفية ومثل . والرب سبحانه وتعالى لا مثل له ولا كيفية فما مثل فى صدرى فهو غير ربى فهو سبحانه وتعالى موحد الذات والصفات . وسئل على رضى الله عنه عن التوحيد والعدل فقال : (التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تنتهمه) وقال يحيى بن معاذ : (التوحيد فى كلمة واحدة ما تصور فى الأوهام فهو بخلافه) وقال على رضى الله عنه : (ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود) وقال رضى الله عنه : (أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق

به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده ، الإخلاص له
 وكمال الإخلاص له نفى الصفات المحدثه عنه فمن وصفه بحادث
 فقد قرنه . ومن قرنه فقد فناه^(١) ومن فناه فقد جزأه ومن جزأه فقد
 جهله ومن أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عده (قال المحققون :
 (من اعتقد في الله سبحانه وتعالى ما يليق بطبعه فهو مشبه لأنه
 سبحانه وتعالى منزّه عما يصفه به أو يتخيله لأن ذلك من صفات
 الحادث) وسئل أعنى علياً رضى الله عنه (بم عرفت ربك)
 فقال : (عرفته بما عرف به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس
 بالناس قريب فى بعده بعيد فى قربه فوق كل شئ ولا يقال تحته
 شئ وأمام كل شئ ولا يقال أمامه شئ وهو فى كل شئ لا كشئ فى
 شئ فسبحان من هو هكذا وليس هكذا غيره) وقال أيضاً رضى الله
 عنه : (عرفنا الله سبحانه وتعالى نفسه بلا كيف ، وبعث سيدنا
 محمد ﷺ بتبليغ القرآن وبيان المفصلات للإسلام والإيمان وإثبات
 الحجة وتقويم الناس على منهج الإخلاص فصدقته بما جاء به)
 وقال الإمام الحافظ محمد بن على الترمذى صاحب التصانيف
 المشهورة (من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبية أجهل)
 قال جعفر فى قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ هو الذى لم يعط
 لأحد من معرفته غير الاسم والصفة . وقيل هو الذى لا يدرك
 حقيقة نعوته وصفاته إلا هو وقوله تعالى : ﴿ الله الصمد ﴾ قيل
 هو الذى أيسر العقول من أن تطلع عليه أو تدرك ما وصف
 به نفسه ونسب إليه . وقيل هو السيد الذى لا نهاية لسؤده . وقيل
 هو المصمود إليه فى الحوائج . وقيل هو الذى لا يستغنى عنه شئ

(١) قوله فناه هى شاه ا هـ مصححه

من الأشياء . وقال ابن عباس رضى الله عنه معناه الذى لا جوف له . وقيل غير ذلك وقوله : « لم يلد ولم يولد » نفى الجنسية والبعضية وقوله : « ولم يكن له كفوا أحد » نفى الشريك والنظير فهو الذى لا نظير له فى ذاته ولا صفاته ولا أفعاله فتعالى أن تدركه الأوهام والعقول والعلوم بل هو كما وصف نفسه والكيفية عن وصفه غير معقولة ولا موهومة كيف يكون ذلك وهو قديم الذات والصفات والتخيل إنما يكون فى المحدثات . وسُئل الإمام العلامة أبو الحسن الدينورى عن الاستدلال بالشاهد على الغائب فقال : كيف يستدل بصفات من يشاهد ويعاين وذو مثل على من لا يشاهد ولا يعاين فى الدنيا ولا نظير له ولا مثل هذا من جهل الجاهلين بالآيات التى قلبوا بها حقائق الأمور فجعلوا الآيات صفات ومعنى الآيات العلامات . وهو كلام إمام محقق وقد ذل خلق كثير بمثل ذلك . فسبحان الأحدى الذات العلى الصفات المنزه عن الآلات . المقدس عن الكفيات . المنزه عن مشابهة المخلوقات تعالى عما يقوله من اللاحاقات . كيف يقاس القادر بالمقدورات والصانع بالمصنوعات وهى من آيات البينات الظاهرات : رفع السموات وبسط الأرض وثبتها بالأوتاد الراسيات وأتحفها بالمزن الماطرات . فزهت بأنواع النباتات المختلفة كذلك يحيى الموتى : « اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات » قال أرباب البصائر وذوو التحقيقات : ليس كذاته ذات ، ولا كاسمه اسم من جهة المعنى ولا لصفته صفة من جميع الوجوه إلا من جهة موافقة اللفظ وكما لم يجز أن يظهر من مخلوق صفة قديمة كذلك يستحيل أن يظهر من الذات الذى ليس كمثله شئ صفة حديثة وأن

دفع شبه من شبه وتمرد

التكرار من حدوث الصفة جل ربنا أن يحدث له صفة أو اسم إذ لم يزل بجميع صفاته واحداً ولا يزال كذلك وكل أمور التوحيد والتفريد خرجت (١) من هذه الكلمة ليس كمثله شيء لأنه ما عبر عن الحقيقة بشيء إلا والعلة مصحوبة والعبارة منقوصة لأن الحق لا ينبعث (٢) إقذاره إلا على إقرار أن كل ناعت مشرف على المنعوت وجل ربنا أن يشرف عليه مخلوق . احتجب عن خلقه بخلقهم ثم عرفهم صنعه بصنعه وساقهم إلى أمره بأمره فلا يمكن الأوهام أن تتأله ولا العقول أن تختاله (٣) . ولا الأبصار أن تمثله ولا الأسماع أن تستمله (٤) ، ولا الأمانى أن تمتحنه هو الذى لا قبل له : ولا مقصر (٥) عنه ولا معدل ولا غاية وراءه ولا مثل ، ليس له أمد ولا نهاية ولا غاية ولا ميقات ولا انقضاء ، ولا يستتره حجاب ولا يقله مكان ولا يحويه هواء ، ولا يحتاطه (٦) فضاء ولا يتضمنه خلاء ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ . قال ابن عباس رضى الله عنهما (معنى الآية ليس له نظير) وقيل الكاف صلة أعنى زائدة فالمعنى ليس مثله شيء . وقيل المثل صلة فالمعنى ليس كهو شيء فأدخل المثل للتأكيد فمن الجهل البين أن يطلب العبد درك ما لا يدرك وأن يتصور ما لا يتصور كيف وقد نزه نفسه بنفسه عن أن يدرك بالحواس . أو يتصور بالعقل الحادث

(١) أى ظهرت للمؤمنين وفهموها من هذه الكلمة ا هـ مصححه

(٢) قوله لا ينبعث هو لا تتعت الخ بدليل قوله بعد ذلك لأن كل ناعت الخ ا هـ

مصححه

(٣) يريد أن تتخيله ا هـ مصححه

(٤) لعلها تشمله أى هو ليس من جنس الأصوات فتسمعه الأسماع ا هـ مصححه

(٥) لعلها مفر ا هـ مصححه

(٦) لعل الأصل ولا يحيط به ا هـ مصححه

والقياس . فلا يدركه العقل الصحيح من جهة التمثيل . ويدركه من جهة الدليل . فكل ما يتوهمه العقل فهو جسم ولا^(١) نهاية في جسمه وجنسه ونوعه وحركته وسكونه مع ما يلزمه من الحدود والمساحة ومن الطول والعرض وغير ذلك من صفات الحدث تعالى الله عن ذلك فهو الكائن قبل الزمان والمكان المحدثين وهو الأول قبل سوابق العدم . الأبدى بعد لواحق القدم ليس كذاته ذات ولا كصفاته صفات جلت الذات القديمة الواجبة الوجود التي لم تسبق بقدم^(٢) أن تكون كالصفة الحديثة قال تعالى : ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ فهو سبحانه وتعالى احتجب عن العقول والأفهام كما احتجب عن الإدراك والأبصار فعجز الخلق عن الدرك والدرك عن الاستنباط وانتهى المخلوق إلى مثله وأسند الطلب إلى شكله : قال الصديق رضى الله عنه : العجز عن درك الإدراك إدراك . وقال رضى الله عنه : سبحان من لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته فهو سبحانه عليم قدير سميع بصير لا يوصف علمه ولا قدرته وسمعه وبصره بما يوصف به المخلوق ولا حقيقته وكذلك علوه واستواؤه إذا الصفة تتبع الموصوف فإذا كانت حقيقة الموصوف ليست من جنس حقائق سائر الموصوفات فذلك حقيقة صفاته فأجهل الناس وأحمقهم وأجدهم للحق . من يشبه من ليس كمثله شئ بالمخلوق المصنوع فى شئ من صفاته وأفعاله وذاته ﴿تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا﴾ لأنه سبحانه وتعالى وصفاته مصون عن الظنون الكاذبة

(١) قوله ولا نهاية صوابه وله نهاية الخ كما هو ظاهر اهـ مصححه

(٢) قوله بقدم هو بعدم كما هو واضح اهـ مصححه

والأوهام السخيفة وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ وما قدرُوا الله حق قدره ﴾ أى ما وصفوه حق وصفه . وقيل ما عظموه حق عظمتة . وقيل ما عرفوه حق معرفته . وقيل غير ذلك . قال بعض أهل المعانى والقلوب لا يعرف قدر الحق إلا الحق وكيف يقدر أحد قدره وقد عجز عن معرفة قدره الوسائط والرسل والأولياء والصديقون ثم قال : ومعرفة قدره أن لا تلتفت عنه إلى غيره ولا تغفل عن ذكره ولا تفتتر عن طاعته إذا ذاك ^(١) عرفت قدر ظاهر قدره وأما حقيقة قدره فلا يقدر قدرها إلا هو وصدق لأن الخلق تعجز عن تنزيهه بما يستحقه من كمال صفاته وعظم ذاته ولهذا نزه سبحانه نفسه بقوله : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ وفى هذا غاية الحث على كثرة التنزيه ودوامه مع أمره لأكمل خلقه فى قوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ مع غير ذلك مما فى أشرف الكتب مما أذكر بعضه . فقوله : ﴿ سبح اسم ربك ﴾ أى قل سبحان ربى الأعلى والمعنى نزه اسم ربك واذكره وأنت له معظم وقيل نزه عن المعانى المفضية إلى نقصه . وقيل نزه اسمه عن الكذب إذا أقسمت به وقيل لفظ اسم زائد وفى الكلام حذف المعنى نزه مسمى ربك الذى خلق فسوى أى مخلوقه بأن خلقه مستوياً بلا تفاوت فيه وفى أعضائه وغير ذلك من مخلوقاته فإن من هذا من بعض مصنوعاته يستحق التنزيه فكيف بمخلوقات أخرى يعجز الخلق عن إدراكها لعظمها وكلها على اختلاف أجناسها وأنواعها كل يسبحه بلغته وبما يليق بجلاله قال تعالى : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وأن من شئ إلا يسبح بحمده

(١) أى لو كنت كما ذكر تعرف قدر الخ ١ هـ مصححه

ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وقال : « والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه » قال مجاهد تسبيح المخلوقات هو تنزيه خالقها وتوحيده بما يستحقه من كمال صفات عظم ذاته . قيل يفقه تسبيحهم العلماء الربانيون الذين انفتحت أسماع بصائرهم والمنورون البصائر الذين يشاهدون كل شئ مرقوماً عليه بقلم القدرة وهو الملك القدوس وقال مجاهد : كل الأشياء تسبح حيواناً وجماداً وتسبيحها سبحان الله وبحمده . وروى ابن السني أنه عليه الصلاة والسلام قال : (ما تستقبل الشمس فيبقى شئ من خلق الله تعالى إلا سبح الله تعالى وحمده إلا ما كان من الشيطان وأغبياء بنى آدم فقيل ما أغبياء بنى آدم فقال : شرار الخلق) وقال شهيب (١) ابن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وقال هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس فالملك اسم من أسمائه تعالى وكذا ملك وهو صفة مبالغة في الملك قال تعالى : « عند ملك مقتدر » فالملك هو المستغنى عن كل شئ ويفتقر إليه كل شئ ونافذ حكمه في مملكته طوعاً أو كرهاً . وقيل هو القادر على الإبداع والإنشاء والإعدام وهذا على الحقيقة لا يكون إلا الله ﷻ أبدع المكونات العلويات والسفليات الجليات والخفيات أبدعها بقدرته ورتبها على اختلاف أطوارها بحكمته فكل ما برز فهو مقهور الوجود بكن . وكل ما انعدم فهو مقهور العدم بكن وبهذا يعلم أن إطلاق الملك على ما سواه أمر مجازي إذ المملوك لا يكون مالكاً لأن من هو تحت قهر الأغيار

(١) معروف هذا الاسم بشهر ١ هـ مصححه

فهو كالعدم ولهذا لما تحقق أرباب القلوب أن الملك لله ﷻ تحققاً قلبياً سكنت أنفسهم عن وصف الإضافات وتبرعوا من الحول والقوة حتى بالإشارات فلا يقول منى ولا لى حتى قيل لبعضهم : ألك رب فقال أنا عبد وليس لى نملة ، ومن أنا حتى أقول لى فهذا وأمثاله صفى نفسه عن رعونة البشرية وهواها وفك ربقة رق خيالاتها الباطلة ومناها ومحض رق العبودية لمولاها فترى الملوك الجبابرة مع جبروتهم يخضعون ويتذللون له ولهذا تتمات ليس هذا المقام مقامها إذا الغرض التنزيه : والقدوس من أسمائه ﷻ سمي نفسه بذلك ليرشدك إلى تقديسه كما أشار إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ وفيه الحث على دوام التقديس فالقدوس قيل هو المنزه عما لا يليق به من الأضداد والأنداد وقيل هو المنزه والمطهر من النقائص والعيوب وهاتان غير مرضيين عند المحققين . قال حجة الإسلام الغواص الغزالي : وهذا فى حق البارئ سبحانه وتعالى يقارب ترك الأدب كما أنه ليس من الأدب أن يقال لملك ليس بحائك ولا بحجام لأن نفى الوجود يكاد يوهم إمكان الوجود وفى ذلك الإيهام نقص بل القدوس المنزه عن كل وصف يدركه حس يتصوره وهم أو يسبق إليه فكر أو يهجس به سراً أو يختلج به ضمير أو يسنح له خفى خيال وقد أجاد رضى الله عنه . وههنا فائدة جلية للمنزه والمشبه وهى أنه ينبغى للعبد أن يجعل له حظاً وافراً من تكرير هذا الاسم والإمعان فى معناه فإن كان منزهاً عطف ذلك عليه وقُدس نفسه وقلبه وبدنه أما نفسه فيطهرها من الأوهام المذمومة كالغضب والحقد والحسد ^{غيره} سوء الظن والكبر وحب الشرف والعلو

وحب الدنيا ولوازمها وغير ذلك ويبدلها بالأوصاف المحمودة فيطهرها أيضاً عن العاهات والشهوات وما تدعوا إليه من المستحسنات والمألوفات إذ هي أزمة الشيطان يقود بها إلى ارتكاب الموبقات . وأما القلب فيطهره بالعقد الصحيح المطابق الجازم وبالمبادرة إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي والأهواء وتحقيق الإخلاص نية وقولاً وعملاً وبالرضى بما جرى فلا يأسف على فائت ولا يفرح بآت وذلك يرجع إلى ذوق حلاوة الإيمان القلبى لا العملى وعلامته تقديس القلب عن ملاحظة الأكوان ولا يرى الأغيار إلا على العدم الأصلى فلا يتحرك فى ظاهره ولا باطنه حتى فى أنفاسه إلا بالله وَعَلَيْكُمْ وأما البدن فيطهره بماء الجوع ويكفنه بدوام التقشف ويحنطه بالعزلة ويطيبه بدوام الذكر والفكر ويدفنه فى لحد الخوف فإذا قدسه بذلك ذهب مغناه وبقي معناه فإذا اجتمعت له هذه التقديسات ذهب أوصافه القواطع والموانع ولاح له خزائن أسرار الآيات فى معارج تردد الآيات فأنثر له ذلك كشف أسرار الملكوتيات فيثمر له ذلك الشوق إلى رؤية مطلوبة فلا شئ أشهى إليه من الموت لأنه لا سبيل إلى الوصول إلى محبوبه إلا به فمن أراد أن يجلسه فى حضرة القدس على منابر التقديس فليجر على هذا التأسيس : وممر إبراهيم ابن أدهم قدس الله روحه بسكران مطروح على قارعة الطريق وقد تقيأ فنظر إليه وقال بأى لسان أصابته هذه الآفة وطهر فمه ومضى فلما أفاق السكران أخبر بما فعله به إبراهيم فخلج وتاب وحسنت توبته فرأى إبراهيم فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول غسلت لأجلنا فمه فلا جرم أنا طهرنا لأجلك قلبه : وأما المشبه والمجسم فلأنه بتكرار هذا الاسم يتعقل معناه

فيضئ له نور فينكشف له حجاب الضلال فإذا حقق المعنى المراد منه ظهر له نوره فأحرق حجاب الضلال فصفى قلبه للحق وزاح الباطل وقد وقع ذلك لبعض الغلاة فى التشبيه والتجسيم مر يوماً على هذه الآية : ﴿ هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس ﴾ فكرر هذا الاسم وتعقل معناه فقال والله إنا لفى ضلال مبين بين فبادر فى الحال وأتى بالشهادتين وقال والله لا يخلصنى إلا استئناف العمل . فانظر أرشدك الله تعالى إلى بركة تكرير هذا الاسم العظيم فى حق أهل التنزيه والتشبيه والله أعلم . ثم تمام التقديس لا يحصل إلا بالتمكن بعد كمال التوحيد وحقيقة التوحيد تكون باعتبار الذات وباعتبار الفعل فتوحيد الذات ينفى الحدوث وثبوت الأحدية ينفى الأضداد وثبوت الذات ينفى التشبيه ويحير العقل فى بحر الإدراك وأما توحيد الأفعال فهو شهود القدرة فى المقدور ثم الاستغراق فى أنوار العظمة فيغيب بذلك عن الموجودات وتبقى القدرة بارزة بأسرار التوحيد ثم الاستغراق فى أنوار المحو فيغيب عن رؤية القدرة بالقادر . ومن مقدوراته جل وعلا ما ذكره فى قوله تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح ﴾ قال أبو الفرج بن الجوزى روى عن على عليه السلام فى تفسيرها أن الروح ملك عظيم له سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها يخلق الله عز وجل من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة . وقال ابن مسعود رضي الله عنه الروح ملك عظيم أعظم من السموات والأرضين والجبال والملائكة يسبح كل يوم ألف تسبيحة يخلق الله سبحانه وتعالى من كل تسبيحة ملكاً يجئ يوم القيامة صفاءً والملائكة بأسرهم يجيئون صفاءً . قال

ابن عباس : وهو الذى ينزل ليلة القدر زعيم الملائكة ويبيده لواء
 طوله ألف عام فيغرزة فى ظهر الكعبة ولو أذن الله ﷻ له أن
 يلتقم السموات والأرض لفعل وقيل الروح هنا جبريل عليه
 الصلاة والسلام وقيل هو ملك ما خلق الله بعد العرش خلقاً
 أعظم منه وقيل غير ذلك . روى أنه عليه الصلاة والسلام قال
 رأيت على كل ورقة من السدرة ملكاً قائماً يسبح الله ﷻ
 ومراده سدرة المنتهى سميت بذلك لأنها لا يتجاوزها أحد من
 الملائكة وغيرهم ولا يعلم ما وراءها إلا الله ﷻ وهى شجرة نبق
 على يمين العرش عندها جنة المأوى يأوى إليها الملائكة
 عليهم السلام وقيل أرواح الشهداء وقيل أرواح المتقين وقال
 الله تعالى : ﴿ تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام ﴾ معنى تبارك
 جل وعظم ومعنى ذى الجلال المستحق للرفعة وصفات التعالى
 ونعوت الكمال جل أن يعرف جلاله غيره تنزه وعظم شأنه عما
 يقول فيه المبطلون لأن كل شئ يثنى عليه بقدرته وكل ذاكر
 يذكره على قدر طاقته وطبعه وعلمه وفهمه والحق جل جلاله ذكره
 خارج عن أوهام الآدميين لأن الحادث ناقص بقهر الإيجاد والفناء
 والمعارف^(١) دون الغايات الجلالية فسبحانه ما أثنى عليه حق
 ثنائه غيره ولا وصفه بما يليق به سواه عجز الأنبياء
 والرسل بأجمعهم عن ذلك قال أجلهم قدراً وأرفعهم محلاً
 وأبلغهم نطقاً مع ما أعطى من جوامع الكلم (لا أحصى
 ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وأما^(٢) الإكرام

(١) لم يظهر لى هذه العبارة معنى فلتحرر ا هـ مصححه

(٢) ذو الإنعام ليس معنى الإكرام بل معنى ذو الإكرام فهنا لفظ ذو ساقط ا هـ

فمعناه ذو الإنعام والمنن على العام والخاص والطائع والعاصي ووصف سبحانه وتعالى نفسه بالكريم في قوله : ﴿ ما غرك بربك الكريم ﴾ قال عمر رضى الله عنه لو قيل لى ما غرك بى لقلت جهلى بك غرنى والكريم هو الذى إذا قدر عفا . وإذا وعد وفى ، وقيل هو الذى إذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالى لمن^(١) أعطى وكم أعطى ولا يضيع من لاذ به والتجا ، وقيل هو الذى يغنى السائل عن الوسائل والشفعاء وإذا رفعت الحاجة إلى غيره لا يرضى ، وقيل هو الذى إذا أبصر خلا جبره وما أظهره وإذا أولى فضلاً أجزله ثم ستره . وقيل غير ذلك . فمن تأمل القرآن الكريم وجده مشحوناً بالتقديس والإجلال والتعظيم وناطقاً بإضلال أهل الإلحاد والتجسيم والحيدة عن الصراط المستقيم وطريقة السلامة فى ذلك أن من أشكل عليه شئ من المتشابه فى الكتاب والسنة فليقل كما أخبر سبحانه وتعالى فى كتابه المبين عن الراسخين فى العلم ومدحهم عليه فى قوله تعالى : ﴿ والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ ويقول كما قال عليه الصلاة والسلام فى الحديث : (وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه) خرجه غير واحد منهم الإمام أحمد والنسائى وغيرهما . ويقول كما قاله الشافعى : آمنت بالله وما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم والراسخ فى العلم هو من طوع على محل المراد منه وسئل مالك عن الراسخين فى العلم فقال : العالم العامل بما علم

(١) لعله بما أعطى الخ اهـ مصححه

دفع شبه من شبه وتورد

المتبع له . وقال عمر بن عبد العزيز : انتهى علم الراسخين بتأويل القرآن إلى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا . وقال بعضهم : للقرآن تأويل استأثر الله تعالى بعلمه لا يطلع عليه أحد من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها ونحو ذلك والخلق متعبدون بالإيمان به ومتعبدون بالمحكم بالإيمان به وبالعقل به وقيل غير ذلك . ثم اعلم أنه حق على اللبيب المعتصم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمسك بالعروة الوثقى أن يثبت لله عز وجل ما قضى العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته فإن المشبهة أثبتوا لله ما لم يأذن فيه بل نهى عنه وهى زيغة سامرية ويهودية والمعطلة سلبوه ما اتصف به وسفهوه . ولقد أحسن أبو الحسن الأشعري فى جوابه عن التوحيد حيث قال إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات . شعر :

الله أكبر أن يكون لذاته كيفية كذوات مخلوقاته
أو أن تقاس صفاتنا فى كل ما نأتيه من أفعالنا بصفاته
أبدأ عقول ذوى العقول بأسرها متحيرات فى دوام حياته
لبديع صنعته عليه شواهد تبدو على صفحات مصنوعاته

فكل ما ترى عينك الباصرة فهو دلائل ظاهرة على (١) العالم مخلوق بتقدير شامل وتدبير كامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية ولو جمعت عقول العقلاء عقلاً واحداً ثم تفكروا بذلك العقل فى جناح بعوضة حتى يجدوا تركيباً أحسن منه وأكمل لفنيت تلك العقول وانقطعت تلك الأفكار ولم تصل إلى درك ذرة من ذرات حكمته فى تلك البعوضة على سبيل الكمال والتمام فما الظن بذى

(١) هنا لفظ أن محذوف كما هو ظاهر ا هـ مصححه

الجلال تباً ثم تباً لأهل الضلال والجهل وما اعتقدوه من النقص مع تنزيه البحار وشوامخ الجبال فسبحان من تسبحه البحار الطوافح والجبال الشم والسحب السوائح ، والأمطار الطوامح ، والأفكار والقرائح ، تقدس عن مثل وشبيهه ، وتنزه عن نقص يعتريه . يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور من سر أضرته الجوانح ، تعالى عن الند المماثل والضد المكارح . يفعل ما يشاء . ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن هلك الجاهل والمكافح ، متكلم بكلام^(١) مسموع بالأذان^(٢) بغير آلات ولا أدوات ولا جوارح ، أين لهوات الحصى وحلقوم الجذع وجارحتهما فما أجهلك بقوله تعالى : **﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة ﴾** نسب الأبصار إلى الآيات فأين الحذق يا قاصح ، ومن آياته إنزال القطر بقدرته . وصبغ ألوان النبات والثمار بحكمته . مع مخالفة الطعوم بمشيئته ، وإرسال الرياح لواقع . موصوف بالسمع والبصر يرى في الدجنة كما يرى في القمر من شبهة أو كيفه طغى وكفر . هذا مذهب أهل الحق والسنة وإن دليلهم لجلّى واضح . من شبهه أو مثل أو جسم فهو مع السامرة واليهود ومن حزبهم يوم تظهر المخبآت وتبلى السرائر وتبين الفضائح . وإن قيل عنه في الدنيا أنه ولي صالح . هلك الهالكون بأرائهم لأنه عمل غير صالح وفاز المنزهون فيآلها من صفقة رابح . هو الواحد المتوحد في صفاته الأزلى الجبار . العظيم العزيز القهار تبارك وتعالى وتنزه عن درك الخواطر والأفكار . وسم كل مخلوق بميسم الافتقار . وأظهر آثار قدرته في مخلقاته

(١) المراد بهذا الكلام هو القرآن لأنه الذى يسمع ا هـ مصححه

(٢) قوله بغير آلات متعلق بمتكلم فليفهم ا هـ مصححه

ومن أظهرها السموات والأرض والبرارى والبحار ، والأعين والأنهار ، وجريانها على المدار ، وتصريف السحاب المسخر بين السماء والأرض واختلاف الليل والنهار ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار يعلم حركات الأسرار ودبيب النملة السوداء فى الظلمة على سواد الصخور والأحجار ، نوع هذا العالم الإنسانى فمنهم شقى ومنهم سعيد وربك يخلق ما يشاء ويختار ، وصفاته كذاته والمشبهة والمجسمة أهل زيغ وكفار . نزه نفسه بنفسه وقدها فمن شبه أو عطل فمأواه النار ، ومن أناب ورجع قبله وإن ارتكب العظائم الكبار . لأنه سبحانه وتعالى عزيز غفار ستر ، ومن بديع صنعته أن خلق اليوم وليلته . وقمر السماء وشمسه . وآدم عليه السلام وما مسه . علم ذلك المنزه فنزه قدسه ، وجهله أعمى البصيرة المشبه فتصور فيه جنسه . لأنه بجهله قاس الخالق جل وعلا على ما ألفه وأحسه ، فتراكم عليه غبار التشبيه فضاعت المحسه . وأما المعطل فجحد صفاته فما أغباه وما أخسه . وإذا كان الأمر كذلك ، فادفع المعطل بيدك النقية . وألحق بالمشبه دفعه ورفسه .

* * *

مبحث الرد على ابن تيمية في قوله بفناء النار

واعلم : أنه مما انتقد عليه زعمه أن النار تفتنى . وأن الله تعالى يفنيها وأنه جعل لها أمداً تنتهى إليه وتفتنى . ويزول عذابها وهو مطالب أين قال الله عز وجل وأين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح عنه وقد سفه الله تعالى في ذكره في كتابه العزيز كما سفه في تنزيهه لنفسه وأتى بأمور إقناعية^(١) صادم بها النصوص الصريحة في دوام العذاب عليهم فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ تبدل في كل ساعة مائة مرة وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة ﴿ إن الله كان عزيزاً ﴾ أى شديد النعمة على من عصاه وقيل العزيز الشديد القادر القوى وقيل الغلب الذى لا يغلب والقاهر الذى لا يقهر وقيل الذى لا نظير له وقيل معناه المعز فيكون فاعيل بمعنى مفعول كالأليم بمعنى المؤلم ونحوه . وقال أهل المعانى وأرباب القلوب العزيز من ظلت العقول فى بحار تعظيمه وحاتت الأبواب دون إدراك نعته وكنت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف كماله والقيام بشكر آلائه وقوله (حكيماً) أى حكم على العداء بدوام العذاب كما حكم للأولياء بدوام النعيم فلا يعلم كنه حقيقة حكمته غيره فلا شئ من الأشياء إلا وفيه شئ من حكمته على وفقه

(١) أى للعامّة البله الذين يخالطوا المؤمنين أما من عرف دين الله عالماً أو مخالطة فمعاد

الله أن يقتنع بغير كلام ربه فليعلم اهـ مصححه

لمناسبتة (صنع الله الذى أتقن كل شئ) وقال تعالى : ﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذقوا عذاب الحريق ﴾ وقال : ﴿ فلن نزيدكم إلا عذابا ﴾ وقال تعالى : ﴿ كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾ وقال تعالى : ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن عذابها كان غراما ﴾ أى مقيماً ملازماً فكل عذاب يفارق صاحبه فليس بغرام والآيات فى ذلك كثيرة جداً وأما السنة فطافحة بذلك وتدل على إخراج المؤمنين دون غيرهم حتى يخرج من فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان وفى رواية مثقال ذرة من خير فأقول يا رب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود قال الله تعالى : ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ إلى غير ذلك ولأن العذاب يدوم بدوام سببه بلا شك ولا ريب وهو قصد الكفر وبقاء العزم عليه ولا شك أنهم لو عاشوا أبد الآباد لاستمروا على كفرهم وكذلك المؤمن يستحق الخلود وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام : (نية المؤمن خير من عمله) وفى معناه أقوال آخر فادعاء فناء النار بعد أمد نزع يهودية ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ﴾ الآية أى قدراً مقدوراً ثم يذهب عنا العذاب وكانت اليهود تقول أن هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام وقيل أربعين يوماً الذى عبد آباؤنا العجل فيها كانت تقول إن ربنا عتب علينا فى أمر فأقسم ليعذبنا أربعين يوماً فلن تمسنا النار إلا

دفع شبه من شبه وتمرد

تحلة القسم أربعين يوماً . فالرجل ساع خلف سلفه كما تقدم وكما يأتي .

* * *

مبحث الرد عليه فى القول بقدم العالم

ومما انتقد عليه : وهو من أقبح القبائح ما ذكره فى مصنفه المسمى بحوادث لا أول لها وهذه التسمية من أقوى الأدلة على جهله فإن الحادث مسبوق بالعدم^(١) والأول ليس كذلك وبنى أمره فيه على اسم من أسماء الأفعال ونفى المجاز فى القرآن وهو من الجهل أيضاً . فإن القرآن معجز ومحشو بالمجازات والاستعارات حتى إن أول حرف فيه أحد أنواع المجاز وتضمن هذا المصنف مع صغره شيئين عظيمين تكذيب الله عز وجل فى قوله ﴿ هو الأول ﴾ فجعل معه قديماً وتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : (كان الله ولا شئ معه) وفى البخارى من رواية عمران ابن حصين رضى الله عنه كان الله ولم يكن شئ قبله وليس وراء ذلك زيغ وكفر فإن الدين ما قاله عز وجل وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم ﴾ هو الأول قبل كل شئ بلا ابتداء كان ولم يكن شئ موجوداً والآخر بعد فناء كل شئ بلا انتهاء ويبقى هو . والظاهر هو الغالب على كل شئ والباطن هو العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما والأقوال فى ذلك كثيرة ومنها قول

(١) لعله (والذى لا أول له ليس كذلك) اهـ مصححه

أبى القاسم الجنيد : نفى القدم عن كل أول بأوليته ونفى البقاء عن كل آخر بأخريته واضطر الخلق إلى الإقرار بربوبيته لظاهريته وحجب الإدراك عن إدراك كنهه وكيفيته بباطنيته وقال أيضاً : هو الأول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وقال السيد الجليل محمد بن الفضل : الأول ببره والآخر بعفوه والظاهر بإحسانه والباطن بستره . ومن حق العبد أن يجعل له حظاً من هذا الخطاب فيزين ظاهره بأنواع الخدمة ويزين باطنه بأنوار الهيبة ويحقق جميع أفعاله وحركاته وسكناته وسائر طاعاته وقرباته بالصدق والإخلاص لقوله ﷺ : « والله بكل شئ عليم » وسأل عمر رضى الله عنه كعب الأبحار عن معنى هذه الآية فقال إن علمه بالأول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (ومما انتقد عليه) : تكذيبه النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن نبوته في حديث أبى هريرة رضى الله عنه قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال عليه الصلاة والسلام : (وآدم بين الروح والجسد) وفى رواية (وإن آدم لمنجدل فى طينته) وتكلم بكلام لبس فيه على العوام وغيرهم من سئى الأفهام يقصد بذلك الازدراء برسول الله ﷺ والخط من قدره ورتبته . وما فيه رفعة يسكت عنه يفهم ذلك منه كل عالم امتلاً قلبه بعظمته ﷺ وتوقيره وبما خصه الله تعالى من مزايا المواهب الإلهية التى لم ينلها غيره .

وهذا الخبيث حريص على حط رتبته والغض منه تارة يقع ذلك منه قريباً من التصريح وتارة بالإشارة القريبة وتارة بالإشارات البعيدة التى لا يدركها إلا أهلها فمن ذلك وقد سئل على ما زعم

أيهما أفضل مكة أو المدينة ؟ فأجاب مكة أفضل بالإجماع وكتبه أحمد ابن تيمية الحنبلي وعليها خطه وأنا أعرف خطه وفي هذا الجواب دسائس وفجور ورمز بعيد فمن الفجور نسبته نفسه إلى الإمام أحمد والإمام أحمد واتباعه برءاً منه ومما هم^(١) عليه وهو لا يلتفت إليه إلا إذا كان له في ذكره غرض أما إذا لم يكن فلا يلوى على قوله ويسفهه حتى فيما ينقله ويكفره فيما يعتقد أنه إذا كان على خلاف هواه . ومن مواضع تسفيهه الإمام أحمد مسألة الطلاق فإن الإمام أحمد قال الذي أخبرنا بأن الطلاق واحدة أخبرنا بأن الطلاق ثلاث وعلى ذلك جرى الأئمة من جميع المذاهب فإذا كان الإمام أحمد غير ثقة فبمن يوثق وقال أعنى ابن تيمية في الجواب عن المسألة المبسطة : والإمام أحمد اعلم الناس في زمانه بالسنة وبالغ في الثناء عليه . فيالله العجب من هذا الأعمى البصيرة الذي لا يحس بتناقض كلامه كيف يجعل الإمام أحمد فيما له فيه غرض أعلم الناس بالسنة ويسفهه فيما لا غرض له فيه وهذا نحوه مما يأتي في غير الإمام أحمد من أئمة الحديث يعرفك ما في قلبه من الخبث وعمى بصيرته وأنه لا عليه فيما يقوله . ومن فجوره إدعاء الإجماع على ما يقوله ويفتى به كهذه الفتوى مع شهرة الخلاف في المسألة حتى أنه مشهور في أشهر الكتب المتداولة بين الناس وهو الشفاء فإنه ذكر الخلاف بين مكة والمدينة وأن مالكا وأكثر أهل المدينة قائلون بأن المدينة أفضل من مكة وقال أهل مكة والكوفة مكة أفضل ومحل الخلاف في غير الموضع الذي ضم سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وأما هو فالإجماع منعقد

على أنه أفضل من مكة وسائر البقاع وممن حكى الإجماع القاضي عياض فى الشفاء بعد أن حكى الخلاف فى التفضيل بين مكة والمدينة فقال : ولا خلاف فى أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض وكذا ذكره الإمام هبة الله فى كتابه توثيق عرى الإيمان وذكر الإمام أبو زكريا يحيى النووى فى شرح مسلم ذلك فقال قال القاضي عياض أجمعوا على أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض وأقره على ذلك : فسكوت الخبيث عن مثل ذلك دليل على خبث فى باطنه فى حق سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وفى هذه الفتوى رمز إلى عدم الاعتداد بقول عمر رضى الله عنه فإنه رضى الله عنه من القائلين بأن المدينة أفضل من مكة ويدل على ما قلته من الرمز^(١) تخطئته فى الطلاق وعدم الاعتداد بذلك كما رمز إلى تكفير الصديق رضى الله عنه فى قوله فى بعض تصانيفه (من قال الله ورسوله فى أمر يلحقه فإنه يكون مشركاً) فإن الصديق رضى الله عنه لما قال النبى صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله ويؤيد ماقلته ما هو مشهور فى كتبه وعند اتباعه لا ينبغى أن ينسب إلى غير الله تعالى ضر ولا نفع ولا أنه يغنى وهذا من الدسائس أيضاً فإنه يلبس به على كثير من الناس لاسيما الضعفاء فى العلم وأصحاب الأذهان الجامدة فهى كلمة حق أريد بها باطل وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ وما نقموا إلا أن أغناهم الله ﴾

(١) هنا لفظ إلى محذوف اهـ مصححه

ورسوله من فضله ﴿ وقال تعالى : ﴿ وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ﴾ وغير ذلك فهذا نص القرآن العظيم على مثل هذا القول في الذين يقولون أنه شرك ففي قولهم قدح في القرآن وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لإقراره الصديق رضي الله عنه على هذا القول الذي هو شرك (١) وهذا منهم كفر بيقين لأنه واجب وحتم لازم على كل أحد أن يؤمن بالقرآن وبما جاء به سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين من غير شك ولا ارتياب قال الله تعالى : ﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فاتنا أعدنا للكافرين سعيراً ﴾ وقال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ وقال : ﴿ وآمنوا بالله ورسوله ﴾ جمع بينها بواو العطف للشركة ولا يجوز هذا في حق غيره عليه الصلاة والسلام ولما خطب عليه الصلاة والسلام أم سلمة رضي الله عنها فاعتذرت إليه بأعذار منها وأنا موتم مرملة في أربعة من الولد فقال لها من جملة قوله وأما ولدك فهم ولد أخى أبى سلمة وهم على الله وعلى رسوله وقال : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾ واعلم أن ما ذكرته من الرمز إلى الصديق والفاروق رضي الله عنهما وأن فيه إشعاراً بأنه رافضى هو كذلك وفي الرد على الرافضى أنه رافضى وهذا نبه عليه الشيخ زين الدين القرشي والشيخ زين الدين ابن رجب الحنبلي . نعم وقفت على مصنف لطيف له ولم يتم وفيه ما يدل على ما قالاه

(١) يعنى في زعمهم انه مصححه

وفى هذا الكتاب رمز إلى أنه من القائلين بتناسخ الأرواح (١) وبعض أتباعه الذين هم رسل فى التبعية يقع منه (٢) ما يدل على ذلك والله اعلم .

ومن الأمور الخبيثة التى وقفت عليها فى فتاويه ما فيه أن بعض المكاسين مثاب فى وظيفة المكس بل أبلغ من ذلك . وأقبض عنان الكلام فيه لما أخشى مما يترتب على التصريح من أهل المكس وتجريهم عليه وقررما قاله بتقرير مقبول فى شق وأهمل الآخر فلما وقفت على ذلك قب بدنى وهجمت على الكلام فى ذلك وكان شخص من الحنابلة يدعى بعلاء الدين ابن اللحام البعلبكى وكان عندهم عظيماً وصنف فى مذهب الإمام فأتيته وهو فى حلقة فى الجامع الأموى وهم يقرعون عليه فى بعض مصنفاته فسألته عن شئ يتعلق بمسألة تقرأ عليه فى كتابه فما أجاب ثم أخرى فما أجاب ثم قلت ما هذه المسألة التى ذكرها الشيخ تقى الدين بن تيمية فى المكس فقال وشرع يقرر ما قرره ابن تيمية فأخذت الشق الآخر وقررته فسكت ولم يجد جواباً فقلت يلزم أحد شيئين : إما بطلان ما قاله . أو تكفيره فقال هذه المسألة ما هى فى فتاويه وأنا

(١) القول بتناسخ الأرواح كفر لأنه عبارة عن اعتقاد أن أرواح من يموتون تتصل بغيرهم فقد يكون روح الخواجة الذى مات اليوم روح أكبر عالم مرشد زاهد ورع بعد ذلك والعكس وقد يتصل روح الخنزير الذى مات بمحمد الذى ولد بعد ذلك ويعكس وقد يتصل بعد ذلك بكلب ثم يتصل بحمار ثم يتصل بنبى وهكذا إلى غير نهاية وهذا يقتضى أن لا بعث وأن لا جزاء فإن الروح لا يقف عند حد معلوم يجازى عليه بل قد يكون بحال يقتضى العذاب ويصبح بحال يقتضى النعيم ثم بحال لا يقتضى عذاباً ولا نعيماً وهكذا وهذا غير ما تنطق به الشرائع الإلهية كلها فهو مصادم للأنبياء ولما جاء به الأنبياء وكيف لا يكون ما هذا حاله كفرأ وهذا المذهب لا دليل عليه من العقل مع كونه مع الشرع كما ذكرنا وذلك أن الأرواح ليست من عالم المحسوسات حتى نراها ونحكم عليها وهى لم تخبرنا عن نفسها بشئ فالجهالة بها مطلقة ا هـ مصححه

(٢) أى من ذلك البعض ا هـ مصححه

اختصرتها فهذه قاعدة من قواعدهم يبحثون مع الخصم فإن ظفروا به فلا كلام وإن ظفر بهم قالوا هذه ما هي في كلامه فهم خلف إمامهم في المكر والخديعة والكذب وقد خاب من افتري ، والله اعلم . ومن الأمور المنتقدة عليه ، وهو من أقبح القبائح وشر الأقوال وأخبثها مسألة التفرقة التي أحدثها غلاة المنافقين من اليهود وعصوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم واستمر عليها اتباعهم الذين يظهرون الإسلام وقلوبهم منطوية على بغض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقدروا أن يتوصلوا إلى الغض منه إلا بذلك . وقد ذكر المسألة الأئمة الأعلام فاذا ذكر بعض كلامهم فيها ثم أعود إلى تنميته مستدلاً بأمور سمعية وغيرها تفيد جلالته وعظامته وحياته في قبره صلى الله عليه وسلم وبقاء حرمة على ما كان عليه في حياته ويقطع الواقف عليها أو على بعضها بأن القائلين بالتفرقة من متغالي أهل الزيغ والزندقة وأن ابن تيمية الذي كان يوصف بأنه بحر في العلم لا يستغرب فيه ما قاله بعض الأئمة عنه من أنه (زنديق مطلق) وسبب قوله ذلك أنه تتبع كلامه فلم يقف له على اعتقاد حتى أنه في مواضع عديدة يكفر فرقة ويضلها . وفي آخر يعتقد ما قالته أو بعضه مع أن كتبه مشحونة بالتشبيه والتجسيم والإشارة إلى الازدراء بالنبي صلى الله عليه وسلم والشيخين وتكفير عبد الله ابن عباس رضي الله عنه وأنه من الملحدين وجعل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من المجرمين وأنه ضال مبتدع ذكر ذلك في كتاب له سماه الصراط المستقيم والرد على أهل الجحيم وقد وقفت في كلامه على المواضع التي كفر فيها الأئمة

دفع شبه من شبه وتمرد

الأربعة^(١) وكان بعض اتباعه يقول أنه أخرج زيف الأئمة الأربعة يريد بذلك إضلال هذه الأمة لأنها تابعة لهؤلاء الأئمة فى جميع الأقطار والأمصار وليس وراء ذلك زندقة . ولنرجع إلى قول بعض الأئمة (فمنهم) الإمام العلامة شيخ شيوخ وقته أبو الحسن على القونوى قال بعد ذكره أشياء لا أطول بذكرها وفيها دلالة على أن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فى الحاجات بعد وفاته كالتوسل به فى حال حياته ثم قال وهذا وأمثاله يرد على هؤلاء المبتدعة الذين نبغوا فى زماننا ومنعوا التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جمع بعضهم كلاماً يتضمن نفى عمله صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة ونقل طائفة منهم التفرقة بين حياته وحال وفاته فقال (والتفريق بين الحياة والوفاة كان ثابتاً عند الصحابة فلماذا استسقى أمير المؤمنين عمر بالعباس ولولا هذا التفريق الواضح عندهم لما عدل عمر مع جلالته وكونه خليفة - راشداً وكان يشاور أيضاً - عن قبر رسول الله إلى غيره) ثم قال (هذا لفظ المبتدع الجاهل التى قامت البينة عليه بأشياء من هذا القبيل وعزر على ذلك التعزير البالغ بالضرب المبرح والحبس وغير ذلك فى شهور سنة خمس وعشرين وسبعمائة بالقاهرة وهذا الكلام من التفرقة بين الحالتين والاستناد فيه إلى استسقاء عمر بالعباس ليس له وإنما هو لشيوخه فإنه لما أظهر القول بنفى التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم أورد عليه حديث الاستسقاء ففزع إلى التفرقة

(١) أحب أن لا يستغرب القارئ شيئاً يراه منسوباً إلى هذا الرجل بعد تصريح العلماء عن أنه يستخف برسول الله صلى الله عليه وسلم ويزدريه ويصغر من شأنه فإن الذى يجترئ على أسمى مقام فى الوجود لا يتهيب ما دونه فليعلم ا هـ مصححه

المذكورة ولا متشبه في الحديث المذكور فإن عمر رضى الله عنه إنما قصد أن يقدم العباس ويباشر الدعاء بنفسه وهذا لا يتصور حصوله من غير الحى أى الحياة الدنيوية . وأما التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نسلم أن عمر رضى الله عنه تركه بعد موته وتقديم العباس ليدعو للناس لا ينفى جواز التوسل به مع ذلك ثم قال وهذا القول الشنيع والرأى السخيف الذى أخذ به هؤلاء المبتدعة من التحاقه ﷺ بالعدم حاشاه من ذلك ، يلزمه أن يقال أنه ليس رسول الله ﷺ اليوم وهو قول بعض الضلال . قال أبو محمد ابن حزم فى كتابه الملل والنحل (حدثت فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله عليه وسلم ليس هو اليوم رسول الله لكن كان رسولاً) ثم قال (وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولما عليه أهل الإسلام منذ كان أهل الإسلام إلى يوم القيامة) قال (وإنما حملهم على هذا الرأى الخبيث قولهم الآخر الخبيث أن الروح عرض والعرض يفنى أبداً أو يحدث ولا يبقى وقتين) قال : فروح رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هؤلاء بطل ولا روح له الآن عند الله وأما جسده فى قبره تراب فبطلت نبوته ورسالته بموته عندهم فنعوذ بالله من هذا القول فإنه كفر صراح لا تردد فيه ويكفى بطلان هذا القول الفاحش الفظيع أنه مخالف لما أمر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم واتفق عليه أهل الإسلام من الأذان فى الجوامع والصوامع وأبواب المساجد جهاراً فى شرق الأراضى وغربها كل يوم خمس مرات بأعلى أصواتهم قد قرنه الله تعالى بذكره أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، كان يجب أن

يقال على قولهم أشهد أن محمداً كان رسول الله وكذلك كان يجب أن يقال في ثانی الشهادتين في الإسلام . وقد قال تعالى : ﴿ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك ﴾ وقال تعالى : ﴿ يوم يجمع الله الرسل ﴾ وقال تعالى : ﴿ وجئ بالنبیین والشهداء ﴾ فسماهم الله عز وجل بعد موتهم رسلاً ونبیین والأصل الحقيقة وكذلك أجمع المسلمون وجاء به النص أن كل مصل فرضاً أو نفلاً يقول في تشهده السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ولو كان بعد موته في حكم العدم لما صحت هذه المخاطبة . هذا معنى كلام ابن حزم ثم قال (أن ابن حزم أورد على نفسه إیرادات وأجاب عنها) قلت وقد حذفها أنا لأجل الإطالة ولا تسع عقول العوام وكثير ممن أشير إليه بالعلم أن يدركها ويدرك الجواب ثم قال (وإنما أطلت النفس في هذه المسألة وإن كانت في غاية الوضوح لقرب العهد بهذين من أظهر الخلاف فيها وأفسد به عقائد خلق كثير من العوام فلذلك استطرقت في هذا المقام بما يتعلق بهذه المسألة هذا المقدار اليسير من الكلام وللمقال فيها مجال واسع لكن إشباع القول في ذلك خارج عما نحن بصدد في هذا الكتاب والله تعالى أعلم) وهذا الكتاب الذي أشار إليه ومنه نقلت يقال له شرح التعرف لمذهب أهل التصوف . واعلم أرشدنا الله وإياك أيها الموفق المنزه المعظم لسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ولذريته الذين بهم تم الدين ولسائر الصحابة رضی الله عنهم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . أن في هذا الذي ذكره الأئمة كفاية لمن له أدنى فهم ودراية إلا أنى وعدت بذكر شيء وخلف الوعد صعب شديد فأنا أذكر نبذة يسيرة وأرجوا من الله عز وجل

حصول البركة فيها . وقد ذكرت فى كتاب [تنبيه السالك على مظان المهالك] جملة كثيرة تتعلق بذلك وبغيره وسقت فيها فتواه المطولة والجواب عما قاله ذكرته فى فضل الحج والله اعلم . ومن الأمور المهمة معرفة الإنسان حاله فى التوفيق والخذلان فمن الخذلان عدم إيمان الإنسان بالآيات والنذر كما قال تعالى : **﴿ وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾** قيل المعنى لا تصل العقول الخالية عن التوفيق إلى سبيل النجاة وما يغنى ضياء العقل مع الخذلان إنما ينفع نور العقل مؤيداً بنور التوفيق وعناية الأزل وإلا فإنه متخبط بإدراكه بعقله فإذا وعيت ما قلته ووقفت على بعض ما أذكره من الأدلة ولم تجد قلبك مؤمناً بها فاعلم أنك من أهل الخذلان ومرقوم فى حزب الشيطان وتابع لأهل البدع عصاة الرحمن . قال كعب الأحبار : تجد الرجل يستكثر من أنواع البر ويحتاط فى^(١) صائع المعروف ويكابد سهر الليل وشدة ظمأ الهواجر وهو مع ذلك لا يساوى عند الله جيفة حمار يشير إلى أهل البدع والتبرء ، منهم بحيث لا يمكن سماعه من ذى هوى ، لما صالح عمر رضى الله عنه أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح به عمر رضى الله عنه وبإسلامه قال له عمر رضى الله عنه هل لك أن تسير معى إلى المدينة وتزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم وتتتبع بزيارته قال نعم يا أمير المؤمنين افعل هذا : فهذا صريح فى الذنب إلى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وشد الرحل وأعمال المطى إليه والكلام على هذا يأتى إن شاء الله تعالى .

(١) صائع المعروف صوابها صنائع اهـ مصححه

بيان زندقه من قال أن روحه عليه الصلاة والسلام فنيت
وأن جسده صار تراباً وبينان زيغ ابن تيمية وحزبه
فى جواب الفتوى التى زعم أنه سئل عنها

فقال فى جوابه : الحمد لله رب العالمين من استغاث بميت أو
غائب من البشر بحيث يدعو فى الشدائد والكربات ويطلب منه
قضاء الحاجات فيقول يا سيدى الشيخ فلان أنا فى حسابك أو فى
جوارك أو يقول عند هجوم العدو عليه يا سيدى فلان يسترعيه أو
يستغيث به أو يقول نحو ذلك عند مرضه وفقره وغير ذلك من
حاجاته فإن هذا ظالم ضال مشرك وفى بعض النسخ كافر عاص لله
تعالى باتفاق المسلمين فإنهم متفقون على أن الميت لا يسأل
ولا يدعى ولا يطلب منه شئ سواء كان نبياً أو غير ذلك ثم أكد
ما قاله بقصة عمر والعباس فى الاستسقاء تبعاً لشيخه الجارى
خلف سلالة اليهود . وأنت أرشدك الله تعالى وبصرك إذا تأملت
ما قاله فى هذا الجواب اقشعر جلدك وقضيت العجب مما فيه من
الخبائث والفجور وأدعاء اتفاق المسلمين وما فيه من الرمز إلى
تكفير الأنبياء وتضليلهم والتلبيس على الأغبياء بقصة عمر رضى
الله عنه وليت شعرى من أى الدلالات أن من توجه إلى قبر سيد
الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وتوسل به فى حاجة
الاستسقاء أو غيرها يصير بذلك ظالماً ضالاً مشركاً كافراً ، هذا
شئ تقشعر منه الأبدان ولم نسمع أحداً فاه بل ولا رمز إليه فى
زمن من الأزمان . ولا بلد من البلدان . قبل زنديق حران . قاتله
الله عز وجل وقد فعل ، جعل الزنديق الجاهل الجامد قصة عمر

رضى الله عنه دعامة^(١) للتوصل بها إلى خبث طويته فى الازدراء بسيد الأولين والآخرين وأكرم السابقين واللاحقين وحط رتبته فى حياته وأن جاهه وحرمة ورسالته وغير ذلك زال بموته وذلك منه كفر بيقين وزندقة محققة فإنه عليه الصلاة والسلام حرمة وقدره ومنزلته عند ربه مازالت ولم تزل وهو سيد ولد آدم وأكرمهم على الله عز وجل على الدوام ، ومن تأمل القرآن العظيم وجده مشحوناً بذلك . وقد ذكرت جملة من ذلك فى مولده عليه الصلاة والسلام وأشير هنا إلى نبذة يسيرة من ذلك ليتحقق السامع لها خبث هذا الزنديق وما انطوى عليه باطنه من الخبث بإبداله هذه الأنواع من التعظيم بالازدراء وما فاه به من الفجور والافتراء كما ترى :

سل عن فضائل الزمان لتخبرا فنظير مجدك يا محمد لا يرى
ولقد جمعت مناقباً ما استجمعت ما استجمعت يا سيدى فتفسرا
ما بين مجدك والمحاول نيله إلا كما بين الثريا والثرى

(فمن ذلك) أنه سبحانه وتعالى تولى عصمته بنفسه فقال تعالى : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ وحقاً عصمه عز وجل فى ظاهره وباطنه حفظه فى ظاهره من أن ينالوا ما هموا به ورد كيدهم فى نحورهم وحفظه فى باطنه من الناس من أن يكون منه إليهم التفات أو يكون له بهم اشتغال صان سره عن موارد الكون إليهم وعن نزغات الشيطان وفتات النفس (ومنها) قوله تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ قيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً يا محمد يا عبد الله ولكن

(١) قوله للتوصل بها إلى خبث طويته فى الازدراء الخ الصواب أن تقدم فى وتؤخر إلى ليظهر معنى الكلام اه مصححه

فخموه وعظموه وشرفوه وقولوا يا نبى الله يا رسول الله مع ليين
وتواضع [قاله مجاهد وقتادة] وقيل معناه احذروا دعاء الرسول
عليكم فإن دعاءه مستجاب لا يرد وليس كدعاء غيره [قاله
ابن عباس] رضى الله عنهما وقيل معناه من ضيع حرمة الرسول
صلى الله عليه وسلم فقد ضيع حرمة الله عز وجل ومن ضيع
حرمة الله فقد دخل فى ديوان الأشقياء ، وحرمة الرسول صلى الله
عليه وسلم من حرمة الله تعالى بل من ضيع حرمة الأولياء فقد
عرض نفسه للهلكة (ومنها) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَاهِداً ﴾ أى عليهم بالتوحيد ﴿ ومبشراً ﴾ أى لهم بالتأييد والمغفرة
﴿ ونذيراً ﴾ أى محذراً إياهم الزيغ والضلالات ﴿ لتؤمنوا بالله
ورسوله وتعزروه وتوقروه ﴾ أى تعظموه تعظيماً يليق به وبمرتبته
قال الأئمة لم يؤمن بالرسول من لم يعزه ويعز أوامره ويوقره
ويوقر أصحابه رضى الله عنهم (ومنها) قوله تعالى : ﴿ فالذين
آمنوا به ﴾ أى بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وعزروه ﴾ أى
وقروه ﴿ ونصروه ﴾ بذلوا أنفسهم فى نصرته وأموالهم ﴿ واتبعوا
النور الذى أنزل معه ﴾ وهو القرآن ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ أى
الفائزون حصر الفلاح فيهم . فهذه الآيات موجبة لتوقيره وتعظيمه
وتبجيله وتعريف قدره عند ربه ومنها قوله تعالى : ﴿ من يطع
الرسول فقد أطاع الله ﴾ قال عمر رضى الله عنه بعد وفاة رسول
الله ﷺ أثناء كلام طويل (بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من
فضيلتك عند الله أن جعل الله عز وجل طاعتك طاعته) وقال
جعفر الصادق معناه من عرفك بالنبوة والرسالة فقد عرفنى
بالربوبية والألوهية وقيل بطاعتك يصل العبد إلى الحق

وبمخالفتك يقطع عنه وقيل غير ذلك ومن أحسنها ألزم نفسه طاعته وصحح الاقتداء به أوصله إلى مقامات الأنبياء والصديقين والشهداء ألا ترى قوله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ﴾ الآية (ومنها) وهو أبلغ مما تقدم قوله تعالى : ﴿ إن الذين يبائعونك ﴾ أى يا محمد ﴿ إنما يبائعون الله ﴾ نفى سبحانه وتعالى الوساطة فى المبالغة وقد تنبه لذلك أرباب المعالى والقلوب العارفون بمراتبه عليه الصلاة والسلام وما وهبه الله تعالى من سنى الأوصاف التى لا تليق بغيره ولا يقدر على حملها إلا هو قالوا (أن البشرية فى نبيه صلى الله عليه وسلم ^(١) عارية وإضافة دون الحقيقة) وهو كلام حكيم منور القلب وقال بعضهم لم يظهر الحق سبحانه وتعالى مقام الجمع على أحد بالتصريح إلا على أخص نسمة وأشرفها وهو المصطفى فقال ﴿ إن الذين يبائعونك إنما يبائعون الله ﴾ ومنها قوله تعالى : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما المراد الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو أن عبداً عبد الله وصدقه فى كل شئ ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم يسمع منه ولم ينتفع بشئ وكان كافراً وفى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية فقال : قال عز وجل : إذا ذكرت ذكر

(١) قوله عارية وأضافه لفظ إضافة بالضمير هو إضافة بالتاء ومعنى هذا الكلام غامض وكأن قائله يريدون أن يقولوا أن حقيقته صلى الله عليه وسلم ملكية وإن كانت صورته بشرية وهو معنى يكون مدحاً إن سلم أن حقيقة الملكية أفضل من حقيقة البشرية وليس لنا قسم آخر يراد إلحاقه صلى الله عليه وسلم به إلا الإلهية ولا يتصور أن يكون مراداً للقاتلين فليعلم
اهـ مصححه

دفع شبه من شبه وتورد

معى . وقال قتادة رضى الله عنه رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة .
وقيل رفع ذكره بأخذ الميثاق على النبيين وألزمهم الإيمان به
والإقرار به . وقيل ورفعنا لك ذكرك ليعرف المذنبون قدر رتبتك
لدى ليتوسلوا بك إلى فلا أرد أحد عن مسألته فأعطيه إياها إما
عاجلاً وإما آجلاً ولا أخيب من توسل بك وإن كان كافراً ، ألا
ترى قوله تعالى : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا ﴾ وسيأتى الكلام على هذه الآية وقيل غير ذلك . ولما هاجر
النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قيل بكت مكة لفقده بدموع
الحرقه على الخد وقالت : وا أسفاه على من أنزل عليه ﴿ لا أقسم
بهذا البلد ﴾ وهو مكة لحلولك فيه ومن جعل لا أصلية فالمعنى
﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ وأنت حال فيه بل أقسم بك وبحياتك وهذا
يدل على علو قدره عند ربه ورفعته التى لم يفز بها غيره . وفى
حديث عائشة رضى الله عنها أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال
قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد صلى
الله عليه وسلم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما من رواية أبى
الجوزاء رضى الله عنه : ما خلق الله ولا ذراً ولا برأ نفساً أكرم
على الله من محمد صلى الله عليه وسلم ولا رأيت الله عز وجل
أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال : ﴿ لعمرك أنهم لفى سكرتهم
يعمّهون ﴾ والعمه فى البصيرة والعمى فى البصر . وفى رواية
عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما المعنى وعيشك يا محمد
أنهم لفى سكرتهم يعمّهون وقال بعضهم : أقسم بحياة محمد لأن
حياته كانت به وهو فى قبضة الحق وبساط القرب وشرف
الانبساط ومقام الاتفاق الذى لا يقوم به غيره فبحياتك يكون القسم

فإن الكل زاغوا وما زغت ، ومالوا وما ملت حتى برأناك ونزلناك منزلة ما نالها غيرك ولا ينالها أحد سواك وقيل المعنى وحياتك التي خصصت بها بين الخلق فحيوا بالأرواح وحييت بنا ولهذا تنمة مهمة ذكرتها في المولد يتعين الوقوف عليها وقيل أقسم الله ﷻ في الأزل بحياته ليظهر شرفه وعلو قدره ودنو منزلته عنده ليتوسل المتوسلون به إليه قبل بروزه إلى الوجود وفي حياته وبعد وفاته وفي عرصات القيامة ولهذا وغيره لم يزل أهل الإيمان يتوسلون به في حياته وبعد وفاته من غير نكير وكأن أهل الكتاب لهم علم من ذلك فكانوا يتوسلون به قبل وجوده فيستجاب لهم كما قال الله تعالى : ﴿ وكنوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ وقال ابن عباس رضى الله عنهما كانت أهل خيبر تقاتل غطفان كلما التقوا هزمت غطفان يهود فعازت يهود بهذا الدعاء [اللهم إنا نسألك بحق النبي الذى وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان ألا نصرتنا عليهم] فكانوا إذا التقوا ودعوا بهذا الدعاء هزمت يهود غطفان ويهود غير منصرف للعلمية والتأنيث علم على^(١) قبيلة فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به فأنزل الله عز وجل : ﴿ وكنوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ أى يدعون بك يا محمد إلى قوله : ﴿ فلغة الله على الكافرين ﴾ : وإذا كان عز وجل يستجيب لأعدائه بالتوسل به صلى الله عليه وسلم إليه سبحانه مع علمه عز وجل بأنهم يكفرون به ويؤذونه ولا يتبعون النور الذى أنزل معه قبل وجوده وبروزه إلى الوجود وإرساله رحمة للعالمين فكيف لا يستجيب لأحبائه إذا توسلوا به بعد وجوده عليه

(١) هى أمة موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام اهـ صاحب الفرعية

الصلاة والسلام وبعثته رحمة للعالمين وإذا كان رحمة للعالمين فكيف لا يتوسل ولا يتشفع به . ومن أنكر التوسل به والتشفع به بعد موته وإن حرّمته زالت بموته فقد أعلم الناس ونادى على نفسه أنه أسوأ حالاً من اليهود الذين يتوسلون به قبل بروزه إلى الوجود وإن في قلبه نزغة هي أخبث النزغات ، وهذا آدم عليه السلام توسل به كما هو مشهور ورواه غير واحد من الأئمة منهم الحاكم في مستدركه على الصحيحين من حديث عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب بحق محمد لما (١) غفرت لى فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه قال يا رب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال يا آدم إنه لأحب الخلق إلىّ وإذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد لما خلقتك) : قال الحاكم صحيح الإسناد (٢) ورواه الطبرانى وزاد (وهو آخر الأنبياء من ذريتك) ورواه الحاكم أيضاً من حديث ابن عباس رضى الله عنهما بزيادة لفظ أوحى الله إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك

(١) أى إلا هـ صاحب الفرعية

(٢) لا التقات بعد هذا التصحيح من الحاكم وهو الحاكم إلى طعن طاعن فى هذا الحديث وقد رأينا من يطعن فيه وفى أمثاله من الأحاديث التى يصححها الحاكم وهى ذالة على سمو شرفه عليه الصلاة والسلام وعلو منزلته عند ربه كأن هذا الطاعن أودى ممن يستخفون بشأنه عليه الصلاة والسلام فصدر منه ذلك الطعن طاعة لشعوره وهو لا يشعر أو يشعر وكأن هذه المسألة مسألة عظم حرمة صلى الله عليه وسلم ورفعة شأنه ، موضع خلاف بيننا وبين هؤلاء الناس ونحن لا نسلم هذا الخلاف إلا بعد أن نسمع من هذه الشذمة أن كلام الله تعالى مطعون فى صدقه أيضاً فإذا قالوها سكنتنا عنهم ويكونون بذلك أراحوا واستراحوا وحسبنا الله ونعم الوكيل هـ مصححه

أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار . ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن قال الحاكم فى مستدركه هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه يعنى البخارى ومسلم . فهذا الإمام الحافظ قد كفانا المؤنة وصحح الحديث وقد رواه غير واحد من الحفاظ وأئمة الحديث بألفاظ : منهم أبو محمد مكى وأبو الليث السمرقندى وغيرهما أن آدم عليه السلام عند اقترافه قال اللهم بحق محمد عليك اغفر لى خطيئتى . ويروى نفيل فقال الله من أين عرفت محمداً قال رأيت فى كل موضع من الجنة مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله . ويروى محمد عبدى ورسولى فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له . وفى رواية الحافظ الأجرى فقال آدم لما خلقتنى رفعت رأسى إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدراً عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتى وجلالى إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم عليه السلام يكنى أبا محمد :

بدا مجده من قبل نشأة آدم وأسأوه فى العرش من قبل تكتب^(١)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾ قال لوح من ذهب فيه مكتوب [عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدى ورسولى] وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً قال

(١) أى كتبت والتعبير بالمضارع بحكاية الحال الماضية اهـ صاحب الفرعية

دفع شبه من شبه وتمرد

على باب الجنة مكتوب إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها . وذكر السميّطاري أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولوداً ولد وعلى جبينه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله وذلك بقلم القدرة وذكر الأخباريون أن ببلاد الهند ورداً أحمر مكتوب^(١) عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله . وفي بعض البوادي حيوان مكتوب على شقه الأيمن لا إله إلا الله وعلى شقه الأيسر محمد رسول الله وذلك بقلم القدرة وهو مرئى ظاهر لكل من له بصر . وذكر غير ذلك : فسيد الأولين والآخرين عظيم عند ربه نوه بذكره في الأزل وفي الكون العلوي والسفلي ليعلم أنه الفاضل الكامل وأنه أعظم الوسائل : قال أبو حميد ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدب أقواماً فقال : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ الآية ومدح قوماً فقال : ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ﴾ الآية وذم قوماً فقال : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً فاستكان لها أبو جعفر فقال يا أبا عبد الله استقبل القبلة وادعو أم استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولما تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى يوم القيامة بل استقبله واستشفع فيه فيشفعك^(٢) الله عز وجل قال الله تعالى : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾

(١) يتعين نصب لفظ مكتوب لأنه وصف لمنسوب اهـ مصححه

(٢) قوله فيشفعك الله السياق يقضى أن يكون فيشفعك فيشفعه لأنه هو صلى الله عليه وسلم الشافع اهـ مصححه

القصة معروفة مشهورة ذكرها غير واحد من المتقدمين والمتأخرين بأسانيد جيدة ومنهم القاضي عياض في أشهر كتبه وهو الشفاء المشهور بالحسن والإتقان في سائر البلدان ومنهم الإمام العلامة هبة الله في كتابه توثيق عرى الإيمان وقد اشتملت هذه القصة على تعظيمه بعد وفاته وأنه حي والتوسل به وحسن الأدب في حقه كما في حياته وأن في الآية الحث على المجئ إليه ليستغفر له وليس في الآية تعرض لزمن حياته دون الوفاة وكذا فهم العلماء مالك وغيره كما يأتي إن شاء الله تعالى العموم واستحبوا لمن زار قبره المكرم أن يتلوا هذه الآية ويستغفر ويتوسل به ويطلب الشفاعة منه ولم نعلم أن أحداً طعن في قصة مالك إلا هذا الفاجر ابن تيمية فإنه لما كان فيها هذه الفضائل طعن فيها وقال أنها مكذوبة فإن هذا شأنه إذا وجد شيئاً لا مساس فيه لما ابتدعه . قال به وقبله ولم يطعن . وإذا وجد شيئاً على خلاف بدعته طعن فيه وإن اتفق على صحته ولا يذكر شيئاً على خلاف هواه وإن اتفق على صحته لاسيما إذا كان آية أو خبراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أمكنه أن يطعن في الآية لفعل^(١) إلا أنه تعرض لتخصيصها وهي دعوة مجردة وعلى خلاف ما فهمه العلماء من العموم ووقع العمل عليه فمن ادعى التخصيص بغير دليل سمعى ظاهر الدلالة قطعنا بخطئه واتهمناه واستدللنا بذلك على استتقاصه سيد الأولين والآخرين الكامل المكمل . وهو كفر بإجماع أهل التوحيد . وذكر

(١) هذا المبدأ عليه اتباعه المفتونون به إلى اليوم يعرف ذلك منهم من يلتفت لحالهم أدنى التفاتة فالواجب على المسلم أن لا يعتبر تصحيحهم لحديث ولا تضعيفهم فإنهم للهوى يصحون ويضعفون وأحب أن يأخذ القارئ قول الإمام الحصني (ولو أمكنه أن يطعن في الآية لفعل) على ظاهره دون أن يظن فيه أى مبالغة وليطرده في اتباعه كذلك اهـ مصححه

دفع شبه من شبه وتمرد

القرطبي فى تفسيره عن على رضى الله عنه أنه قال : قدم إلينا أعرابى بعدما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثا على رأسه من ترابه ثم قال : قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ووعيت عن الله وَعَلَى فوعينا عنك وكان فيما أنزل عليك ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾ الآية . وقد ظلمت نفسى وجئتكَ تستغفر لى فنودى من القبر قد غفر لك وهذه القصة غير قصة العتبى وقصة العتبى مشهورة فى غاية الشهرة . وقد ذكرها الأئمة فى كتبهم قديماً وحديثاً وكنية العتبى أبو عبد الرحمن واسمه محمد ابن عبد الله ابن عمرو وكان من أفصح الناس وصاحب أخبار وصاحب رواية للأثار . حدث عن أبيه وعن ابن عيينة . وقد ذكر قصته خلائق منهم ابن عساكر فى تاريخه وذكرها الحافظ أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه (مثير الغرام الساكن) وذكرها غيرهما بالأسانيد . وممن ذكرها الإمام العلامة المتفق على علمه ودينه وزهده أبو زكريا يحيى بن شرف النووى قدس الله روحه ونور ضريحه قال فى زيارة قبره : أنها من أعظم القربات وأفضل المساعى والطلبات وإذا انتهى إلى قبره وقف قبالة وجهه ويتشفع به إلى ربه ومن أحسن ما يقوله ما حكاه أصحابنا عن العتبى مستحسنين له . قال العتبى كنت جالساً عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ وقد جئتكَ مستغفراً من ذنبى مستشفعاً بك إلى ربى ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
قال فرأيت النبی صلی الله عليه وسلم فى النوم فقال : يا عتبى
الحق الأعرابى فبشره بأن الله قد غفر له . وفى رواية غيره إلحق
الأعرابى وبشره بأن الله قد غفر له بشافعتى فخرجت فلم أجده فأفاد
النووى قدس الله تعالى روحه أن أصحاب الشافعى استحسنوا ذلك
وحكوه عن غيرهم وأفاد شمول الآية للحياة والممات وأنه يستشفع
به إلى ربه وساق ذلك مساق ما هو متفق عليه ولم يعترض لذلك
أحد بالإنكار فى سائر الأعصار وزدت أنا هذين البيتين لعل
يلحقنى نصيب من شفاعته وهما :

وفيه كل خصال الحمد قد جمعت فلذبه فهو من ترعى له الذمم
وهو الذى يرتجى فى كل معضلة وفى المعاد إذا زلت بنا القدم

* * *

قصة الراهبين مع أبى عبد الله

وقال السيد الجليل قطاع المغاوز على قدم التوكل أبو عبد الله الفرعى قدس الله سره ونور ضريحه خرجت مرة أريد الزيارة من طريق المغاوز فوقعت فى التيه فكنت فيه أياماً حتى أشرفت على الموت فبينما أنا كذلك إذ رأيت راهبين^(١) يسيران كأنهما خرجا من مكان قريب يريدان ديراً لهما بالقرب فملت إليهما فقلت أين تريدان فقالا لا ندرى فقلت من أين أتيتما قال لا ندرى قلت فتدريان أين أنتما قال نعم نحن فى ملكه وبين يديه قال فأقبلت على نفسى أقول لها راهبان يتحققان بالتوكل دونك ثم قلت لهما أتأذنان لى فى الصلبة فقالا ذاك إليك قال فسرنا فلما أمسينا قاما إلى صلاتهما وقمت إلى صلاة المغرب فتيممت وصليت فنظرا إلى وقد تيممت فضحكا منى فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما بيده فإذا بالماء قد ظهر وإذا بطعام موضوع . قال فبقيت أتعجب من ذلك فقالا لى أذن وكل واشرب قال فأكلنا وتوضأت وقاما فلم يزاالا فى صلاتهما وأنا فى صلاتى حتى أصبحنا فصليت الفجر ثم قاما يسيران فساروا^(٢) إلى الليل فلما أمسينا تقدم الآخر فصلى بصاحبه ثم دعا بدعوات ثم بحث الأرض بيده فنبع الماء

(١) هذه القصة فيها خبى خفى ولعل هذين الراهبين ملكان أو وليان لله تعالى أرسلهما سبحانه وتعالى للشيخ الفرعى لينقل بحالهما من حاله إلى حال أرفع كما ترى فى القصة . وأما أنهما راهبان حقيقة فهذا ما لا يستطيع العقل فهمه فإنا لا نعرف إن الله تعالى يكرم إلا الصادقين من عباده المؤمنين فكيف يكرم بهذه الكرامة الباهرة التى تضمنتها القصة - راهبين كافرين بسيد أنبيائه وهما يعرفانه حق المعرفة كما ترى من كلاهما فاعرف ذلك اهـ مصححه
(٢) وقوله فساروا بالجمع هو فسارا بالثنائية كما هو ظاهر اهـ مصححه

وظهر الطعام فقالا لى ادن وكل واشرب قال فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ثم نصب الماء وغار حتى لم يبق له أثر فلما كانت الليلة الثالثة قال لى يا مسلم الليلة نوبتك قال فاستحييت من قولهما وداخلنى من ذلك هم شديد قال فقلت فى نفسى اللهم إنى أعلم أن ذنوبى لم تدع لى عندك جاهاً ولكنى أسألك واتوسل إليك بنبيك المكرم عندك ألا تفضحنى عندهما ولا تشمت^(١) بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال فإذا بعين خراة وطعام كثير قال فأكلنا وشربنا ولم نزل على حالنا حتى بلغت النوبة الثانية إلى ، قال فدعوت بمثل ما دعوت أولاً وتوسلت بالنبي صلى الله عليه وسلم فإذا بطعام اثنين وشراب اثنين دون ما كان قال فتقاصرت إلى نفسى وقصرت عن الأكل وأريتهما أنى أكل فسكتا عنى قال وسرنا حتى بلغت النوبة الثالثة إلى فدعوت بمثل ما دعوت وتوسلت بالنبي صلى الله عليه وسلم وقوى حالى فى أمر صدق توسلى به صلى الله عليه وسلم علمى بأنه وسيلة من قبلى فإذا بطعام اثنين والماء مثل ذلك فغمنى ذلك قال فغلبتنى عيناى من الهم خوف الشماتة بديننا فإذا بقائل يقول لى أدركناك بالإيثار الذى خصصنا به محمداً من دون الأنبياء^(٢) وهى علامته وكرامة أمته من بعده إلى يوم القيامة قال فلما بلغت النوبة الرابعة إلى قال لى يا مسلم ما هذا : أنا نرى فى طعامك وشرابك نقصاً فلم ذلك فقلت لهما أولم تعلمنا أن هذا خص الله عز وجل به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من بين الأنبياء

(١) أى تشمتها اهـ مصححه

(٢) أى خصصنا به أمة محمد صلى الله عليه وسلم من دون أمم الأنبياء وإلا فالأنبياء جميعاً أوائل أهل الإيثار صلى الله عليه وسلم عليهم جميعاً اهـ مصححه

دفع شبه من شبه وتمرد

وخص أمته به من بعده إن الله عز وجل يريد لى الإيثاز وقد
آثرتكما اقتداء بنبى المكرم فقالا صدقت ثم قالنا نشهد أن لا إله إلا
الله ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق
صدقته فى قولك هذا خلق محمد فى كتب الله المنزلة إن الله عز
وجل خص محمداً وأمه بذلك قال وحسن إسلامهما قال ثم قلت
لهما فى الجمعة والجماعة فقالا ذلك واجب قلت نعم فاسألا الله
تعالى وادعوا أن يخرجنا من هذا التيه إلى أقرب الأماكن فدعوا
فبينما نحن نسير إذا نحن ببيوت قد أشرفنا عليها فإذا هى بيت
المقدس قال فدخلنا المسجد وأقمنا أياماً ثم تجدد لى سفر ففارقتهما
وقد ملئ قلبى فرحاً بإسلامهما وبصحبة^(١) توسلى بالنبى صلى الله
عليه وسلم وأنه غياث الصادقين فى محبة^(٢) السالكين خلفه فى
صدقه مع ربه وصحة الاعتماد عليه . فانظر أرشدك الله كيف
بصدق التوسل به جرى ما جرى من حصول الكرامات من نبع
الماء وحصول الطعام والاهتداء لهما فله عز وجل المنة على
ما أكرمنا به وعلى ما وهب الأولياء من آثار معجزاته : وقال
سفيان الثورى فبينما أنا أطوف بالبيت وإذا أنا برجل لا يرفع قدماً
ولا يضع أخرى إلا وهو يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم
فقلت يا هذا إنك تركت التسبيح والتهليل وأقبلت على الصلاة على
النبى صلى الله عليه وسلم فهل عندك من هذا شئ فقال لى من أنت
قلت سفيان الثورى فقال لولا أنك غريب فى أهل زمانك لما
أخبرتكم عن حالى ولما أطلعكم على سرى ثم قال خرجت أنا

(١) قوله وبصحبة توسلى صوابه وبصحبة توسلى الخ ا هـ مصححه

(٢) قوله فى محبة السالكين صوابه فى محبته السالكين الخ ا هـ مصححه

ووالدى حاجين إلى بيت الله الحرام وإلى زيارة سيد الأنام حتى إذا كنا ببعض المنازل مرض واندى فعالجته فمات فلما مات اسود وجهه فغلبتني عيناى من الهم ففتمت فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه ولا انظف ثوباً ولا أطيّب رائحة منه فدنا من والدى وكشف عن وجهه وأمر يده عليه فعاد وجهه أبيض ثم ذهب فتعلقت بثوبه وقلت له يا عبد الله من أنت الذى من الله عز وجل على وعلى والدى بك فى دار الغربة لكشف هذه الكربة فقال أو ما تعرفنى أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما إن والدك كان مسرفاً على نفسه ولكنه كان يكثر الصلاة على فلما نزل به ما نزل استغاث بى وأنا غياث من أكثر الصلاة على قال فانتبعت فإذا وجه والدى قد ابيض . فانظر أرشدك الله عز وجل إلى جلاله وتعظيمه فى حياته وبعد وفاته وكيف أغاث من استغاث به حتى فى البرزخ فهو عليه الصلاة والسلام كما قيل :

غياث لملهوف وغيث لأمل	وعين لظمان وعون لذى جهد
له فوق إيوان الزمان مراتب	يقصر عنها الأنبياء أولو المجد
فموسى وعيسى والخليل ونوحهم	يقولون طه منتهى السؤل والقصد
حوى قصبات السبق من قبل آدم	وكهلا وأيام الطفولة فى المهد
به طيبة طابت ولا غرو قد حوت	طبيب قلوب الخلق من مرض الجعد
فلولاه ما اشتاقت قلوب نفيسة	إلى الشيخ من أرض الحجاز ولا الرند
ولا ذكرت سلع ونعمان والنقا	ولا استعذبت من شدة الوجد للوجد

فسبحان من قربه وبجله وعظمه ومنحه وتوجه خلع الفضائل وجعله أعظم ما يتوجه به إليه وأعظم الوسائل :

دفع شبه من شبه وتمرد

روى الترمذى من حديث عثمان بن حنيف رضى الله عنه أن رجلاً ضرير البصر جاء إلى النبی صلى الله عليه وسلم فقال ادع لى أن يعافينى الله فقال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعوا بهذا الدعاء : اللهم أنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى اللهم شفعه فى . قال الترمذى حديث حسن صحيح ورواه النسائى بنحوه ورواه البيهقى وزاد محمد بن يونس فى روايته فقام وقد أبصر وفى رواية شعبة ففعل فبرئ . وفى رواية يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فتجلى عن بصرى اللهم شفعه فى وشفعنى فى نفسى قال عثمان رضى الله عنه فوالله ما انصرفنا ولا طال الحديث حتى جاء الرجل كأنه لم يكن به ضرر^(١) : فهذا حديث صحيح صريح فى التوسل والاستجابة وليس فيه أنه فعل ذلك فى حضرة النبی ﷺ وليس فيه التقييد بزمن حياته ولا أنه خاص بذلك الرجل بل إطلاقه عليه الصلاة والسلام يدل على أن هذا التوسل مستمر بعد وفاته شفقة عليهم لأنه بهم رعوف رحيم ولاحتياجهم إلى ذلك فى حاجاتهم ويدل على ذلك أن عثمان بن حنيف راوى الحديث هو وغيره فهموا التعميم ولهذا استعمله هو وغيره بعد وفاته ﷺ كما رواه الطبرانى فى معجمه الكبير فى ترجمة عثمان بن حنيف ﷺ فى حاجة له فكان عثمان لا ينظر فى حاجته فلقى الرجل عثمان بن

(١) وفى رواية أنه قال عليه الصلاة والسلام وإن كان لك حاجة فمثل ذلك ا هـ مستنسخ النسخة

حنيف وشكى^(١) إليه ذلك فقال له عثمان ابن حنيف رضي الله عنه انت الميضاة فتوضاً ثم انت المسجد فصل ركعتين ثم قل : اللهم انى أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد انى أتوجه بك إلى ربى . فتقضى^(٢) حاجتك وتذكر حاجتك . ورح حتى أروح معك فذهب الرجل وفعل ما قاله عثمان ابن حنيف له ثم إن الرجل أتى إلى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البواب فأخذ بيده حتى أدخله إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فأجلسه معه على الطنفسة فقال حاجتك فاعلمه بها فقضاها له وقال ما ذكرت حاجتك إلا الساعة ثم قال عثمان ابن عفان رضي الله عنه ما كان لك من حاجة فاذاكرها ثم إن الرجل خرج من عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فلقى عثمان ابن حنيف رضي الله عنه فقال له جزاك الله خيراً أما أنه ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلى حتى كلمته فى فقال عثمان ابن حنيف رضي الله عنه ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره فقال له عليه الصلاة والسلام أو تصبر فقال يا رسول الله إنه ليس لى قائد وقد شق علىّ فقال عليه الصلاة والسلام انت الميضاة فتوضاً ثم انت صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات قال عثمان بن حنيف فوالله ما انصرفنا ولا طال الزمان حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط ورواه البيهقى بإسناده من طريقين فهذا من أوضح الأدلة على الاحتجاج بالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كحياته كفعل^(٣) عثمان راوى الحديث ولفعل غيره فى حياته وبعد وفاته وهم اعلم بالله عز وجل

(١) قوله وشكى برسم شكا بالآلف ا هـ مصححه

(٢) قوله فتقضى حاجتك ليس بظاهر معناه وقد راجعت الأصل فرأيت النص فتقضى

حاجتى وتذكر حاجتك الخ وبه يتضح المعنى ا هـ مصححه

(٣) (الكاف فى قوله كفعل لام ا هـ مصححه

وبرسوله ﷺ من غيرهم وإليهم ترجع الأمور فى القضايا التى شاهدوها فى زمنه وأخذوها عنهم رضى الله عنه^(١) ومن عدل عن ذلك فقد أفهم عن نفسه أن عنده ضغينة لهم وهذا من الواضحات الجليات التى لا ينكرها إلا صاحب دسياسة أعاذنا الله تعالى من ذلك وقال القاضى عياض فى أشهر كتبه وهو الشفاء (الفصل الثانى) فى حرمة بعد وفاته وأما حرمة^(٢) النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وتوقيره وتعظيمه فهو لازم كما كان فى حياته وذلك عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وتعظيم أهل بيته وصحابته واجب على كل مؤمن متى ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته فيأخذ فى هيئته وإجلاله بما كان يأخذ بعينه^(٣) لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله عز وجل وقال ابن حبيب إذا دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل ركعتين بين الروضة والمنبر ثم اقصد القبر من تجاه القبلة وادن منه ثم سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثن عليه وعليك السكينة والوقار فإنه عليه الصلاة والسلام مسلم^(٤) ويعلم وقوفك بين يديه وكذا قاله غيره من الأئمة الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى . (أما زيارة قبره عليه الصلاة والسلام فأحضر قلبك لتعظيمه ولهيبته وأحضر عظيم رتبته فى قلبك واعلم أنه عالم بحضورك وتسليمك) وهذا الذى

(١) قوله وأخذوها عنهم رضى الله عنه تؤخر فيه عنهم وتقدم منه كما هو ظاهر ا هـ مصححه

(٢) الصواب وحرمة ويحذف الضمير ا هـ مصححه

(٣) قوله بما كان يأخذ بعينه عبارة الشفاء بما كان يأخذ به نفسه الخ ا هـ مصححه

(٤) قوله مسلم بتشديد اللام أى راد عليك السلام الذى تسلمه عليه ا هـ مصححه

قالاه معروف مشهور لأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يغضون أصواتهم فى مسجده تعظيماً له وتوقيراً . وفى البخارى أن عمر رضى الله عنه قال لرجلين من أهل الطائف لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عائشة رضى الله عنها إذا سمعت دق الودد أو المسمار يضرب فى بعض الدور المطبقة لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ترسل إليهم لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أن علياً رضى الله عنه لما عمل مصراعى داره ما عملها إلا بالمناصع توقياً لذلك والآثار بمثل ذلك كثيرة جداً وكذا الأخبار بعرض الصلاة عليه وكذا برد^(١) روحه الشريفة العظيمة الكريمة على الله عز وجل وإذا ثبت ردها ثبتت حياته وإذا ثبتت حياته وجب القطع بصحة التوسل به فى ابن ماجه من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة وإن أحداً لن يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها قال قلت يا رسول الله وبعد الموت قال وبعد الموت فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبى الله حى يرزق وقال عليه الصلاة والسلام إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى السلام رواه النسائى وكذا الحاكم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه وصحح

(١) سياتى للمصنف شرح الحديث الوارد بذلك وتوضيحه أن الوجود لا يخلو لحظة من مسلم عليه صلى الله عليه وسلم فهو دائماً يرد السلام فهو دائماً مردودة عليه روحه فهو دائماً حى وشرح الحديث بأن جملة رد الخ حالية تحل إشكال الحديث كذلك وهناك أحاديث أخرى كثيرة تدل على حياة الأنبياء فى البرزخ بلا قيد ولا شرط وهو أمر مجمع عليه بين علماء الأمة فليعلم اهـ

وقال عليه الصلاة والسلام ليس أحد يسلم علىّ إلا رد الله على
روحي حتى أرد عليه السلام رواه أبو داود من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه بإسناد جيد . قال البيهقي معنى قوله إلا رد الله
عليه روحه إلا وقد رد الله عليه روحه لأجل سلام من سلم عليه
واستمرت في جسده لأنه لا يبلى ولا تفتقر صلاة المصلين عليه ولا
سلام المسلمين عليه من الثقلين وغيرهم . وقال عليه الصلاة
والسلام لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغني
حيث ما (١) كنتم رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله
عنه بإسناد صحيح والأحاديث في ذلك كثيرة . وقال كعب الأحبار
ما من فجر يطلع إلا أنزل الله سبعين ألفاً من الملائكة حتى يحفوا
بالقبر الشريف يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله
عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم وصنعوا مثل ذلك
حتى إذا انشقت الأرض خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في
سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه . وروى الحافظ أبو القاسم
الأصبهاني صاحب الترغيب عن أنس رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علىّ يوم الجمعة وليلة
جمعة مائة من الصلاة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج
الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ، وكلّ بذلك ملكاً يدخله على قبري
كما يدخل عليكم الهدايا إن علمي بذلك بعد موتي كعلمي به في
حياتي . وقال السيد الجليل سلمان بن شحيم قدس الله روحه رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله الذين
يأتونك ويسلمون عليك تفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وقال بعض

(١) توصل حيث بما اهـ مصححه

المشايخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت استغفر لى فأعرض عنى فقلت يا رسول الله استغفر لى فأعرض عنى فقلت يا رسول الله أن سفيان ابن عيينة حدثنا عن محمد ابن المنكر عن جابر أنك لم تسأل شيئاً قط فقلت لا . فأقبل على وقال غفر الله لك وكان موهوب ابن الجزرى الشافعى إماماً عالماً فاضلاً مفيداً يشارك فى سائر العلوم مشاركة جيدة مع العقل والدين والإيثار لأهل الضرورات وكان يتجر فكثير ماله فأراد صاحب أن يتعرض له . قال فخفت منه خوفاً شديداً فلما كان فى بعض الليالى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله إنى خائف من صاحب فقال لا تخف منه وقل له بعلامة كذا وكذا لا تؤذنى فرسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع فى فلما انتبهت صليت الصبح وركبت دابتي ووقفت للصاحب فى الطريق وهو طالع إلى القلعة قال فسلمت عليه وصحبته وقلت له معى رسالة فقال ممن قلت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قل له بعلامة كذا وكذا فقال صدقت أنت وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا اليوم أتشفع بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمولى يرسم والمملوك يمتثل ومهما كان لك من الحوائج تعرفنى بها أو لأحد أصحابك . وطلب بعض أمراء الجور رجلاً أراد منه شيئاً وهدده تهديداً وتواعده^(١) بالعقوبات فقال له الرجل أنا أتشفع إليك بسيد الأولين والآخرين أن لا تتعرض لى بما لا يحل لك فلم يلتفت إليه ولا إلى قوله فلما أصبح الصباح طلب الأمير الرجل وأكرمه

(١) للصواب حذف ألف تواعده اهـ مصححه

بعد أن فك عنه الطلب . فقبل للأمر في ذلك فقال رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهرني وهم بي وقال يتشفع بي إليك ولا تقبل فوالله لا يتشفع به أحد إلى إلا قبلت شفاعته فإني خفت على نفسي الهلكة . وعن منصور بن عبد الله قال سمعت ابن الجلاء يقول دخلت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبى شئ من الفاقة فتقدمت إلى القبر فسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ضجيعيه أبى بكر رضى الله عنه وعمر رضى الله عنه ثم قلت يا رسول الله بى فاقة وأنا ضيفك الليلة ثم تتحيت ونمت بين القبر والمنبر وإذا أنا بالنبي صلى الله عليه وسلم قد جاءنى ودفع إلى رغيف خبز فأكلت نصفه فانتبهت فإذا فى يدى نصف الرغيف ومن تنمة القصة أن قال ابن الجلاء أنه دام بعد ذلك أربعين سنة لم يحتج فيها إلى طعام الدنيا ولا إلى شرابها ببركة تلك الأكلة قال العلماء الظاهر أن ما أتاه به النبي صلى الله عليه وسلم من طعام الجنة لأن من أكل من طعام الجنة استغنى عن طعام الدنيا قالوا وهذه رؤيا حق لما جاء فى الحديث : (من رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بى) ومثل هذا وقع للسيد الجليل أبى الخير الأقطع صاحب المقامات الباهرة والكرامات الظاهرة قال : دخلت مدينة النبي ﷺ وأن بفاقة فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً فتقدمت إلى القبر وسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقلت أنا ضيفك يا رسول الله وتتحيت ونمت خلف القبر فرأيت فى المنام النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعلى بين يديه فحركنى وقال قم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال فقامت إليه وقبلت بين عينيه فدفع إلى رغيماً فأكلت نصفه وانتبهت وإذا في يدي نصف رغيغ قال العلماء وإنما يبقى نصف الرغيغ ليتحقق الأمر وتظهر الكرامة لأولياء الله عز وجل الذين سلكوا سبيله بصدق صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وقال ابن أبي ذرعة الصوفى سافرت مع أبى ومع ابن حنيف إلى مكة وأصابتنا فاقة شديدة فدخلنا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبتنا طاوين وكنت دون البالغ فكنت أجيء إلى أبى غير دفعة وأقول أنا جائع فأتى والدى إلى الحضرة الشريفة وقال يا رسول الله أنا ضيفك الليلة وجلس على المراقبة فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكى ساعة ويضحك ساعة فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع في يدي دراهم وفتح يده فإذا فيها دراهم وبارك الله تعالى لنا فيها إلى أن رجعنا شيراز فكنا ننفق منها . وقال السيد الجليل أبو العباس أحمد الصوفى تهت في البادية ثلاثة أشهر وانسلخ جلدى فدخلت المدينة الشريفة وجئت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وعلى صاحبيه ثم نمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لى : يا أحمد جئت . قلت نعم وأنا جائع وأنا في ضيافتك فقال لى افتح كفيك (١) ففتحهما فملاهما دراهم فانتبهت وهما مملوءتان فقامت فاشتريت لى خبزاً حواري وفلوزجاً وأكلت وقمت للوقت ودخلت البادية ومثل هذا كثير وهؤلاء رجال صدق يقطعون البوادي على قدم التوكل لا يعتمدون على غيره ولا يأنسون بسواه وتقع لهم ألطاف وأمور عجيبة وقد ذكرت جملة من ذلك في كتاب تنبيه السالك في فصل الكرامات فمن أراد أن

(١) الصواب ففتحتهما ا هـ مصححة

يقف على الغرائب والعجائب فلينظر فيه وفيما وهب لهم من الكرامات على مقدار طبقاتهم . وخرج بعض المشايخ يريد الزيارة في جماعة من الفقراء . قال فلما وصلنا إلى شعب النعام أدركنا العطش وبيننا وبين المدينة مراحل قال فاستغثت بالنبي صلى الله عليه وسلم وصليت ونمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مرحباً بك وبجماعتك وضمني إلى صدره وقبلني فقبلت يده الكريمة وقدمه وقلت له يا سيدى يا رسول الله أنا خائف على أصحابنا من العطش فقال لا تخف فأنا نسير لكم الماء وما نحن نعد لكم الضيافة ورأيت عليه الصلاة والسلام مشمر الأكماء فجاءنا السيل فى تلك الليلة وملأنا ركبانا فلما قدمنا المدينة تلقانا أحد خدام النبي صلى الله عليه وسلم فقال لى سلم على النبي صلى الله عليه وسلم واشتهى أن اجتمع بك حتى أوفى لك بما أوصانى به النبي صلى الله عليه وسلم فلما سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم جئت إليه فقال لعلامه جئ بالمائدة فجاء بها وعليها كل خير يراد فالتفت إلى وقال كل هذا الذى أوصانى به النبي ﷺ وقال لى هذه ضيافتك يا فلان وسمانى باسمى وما يبعد أن النبي صلى الله عليه وسلم سماه كما وقع لغيره من الخدام من تسمية أقوام قصدوا زيارته من أرض شاسعة كما أخبرنى به الشيخ محمد فولاذ فى المسجد الأقصى وكان من الأخيار وكثير التعبد والإيثار وحج ماشياً ما يزيد على ثلاثين حجة قال لى إذا جاء أوان الحج هاج بى الشوق إلى تلك المعاهد الشريفة وإلى زيارة سيد الأولين والآخرين فأخذ زادى على ظهري وإناء الماء وأسير مع الناس إلى جنب وأنا مشغول بحالى قال فاتفق أنى تحدثت أنا وخدام الضريح وتذاكرنا مواهب الله عز وجل لسيدنا

رسول الله ﷺ فقال لى يا شيخ محمد- إنى أخدم هذا الضريح ستين سنة فاتفق فى يوم حار أنى سمعت السرير يصرصر وسمعت صوته عليه الصلاة والسلام وهو يقول وعليك السلام يا فلان ويا فلان بن فلان وسمى ثمانية أنفس قال الخادم فقامت من ساعتى وجئت الضريح وإذا بشخص كاد أن يموت من الهزال جالس عند الضريح فسلمت عليه وقلت ما اسمك فقال فلان بن فلان لأحد الثمانية فقلت له وأين رفقتك فقال عند باب الحرم قد عجزوا عن الوصول إلى الضريح قال فعمدت إليهم فإذا ثلاثة من الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأين بقيتكم فقالوا فارقناهم من وراء تلك الأكمة قال فأخذت ما أحملهم عليه وماء وشيئاً من الأكل ومضيت فوجدت الأربعة قد قضاوا فجهزتهم ثم رجعت إلى الأربعة فأخذتهم وأكرمتهم وسألتهم من أين ورودهم فقالوا من بلاد شاسعة تعاقدا وتعاهدنا على زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لا نرجع عن ذلك ولو ذهب أنفسنا فأما نحن فقد أعطانا الله عز وجل مرادنا وأما إخواننا الذين ماتوا عند الأكمة فنرجوا أن الله عز وجل لا يخيب مسعاهم . ووقع مثل ذلك كثير جداً وقد دونه الأئمة كابن أبى الدنيا وغيره وعقدوا له باب الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم وخرجوه بأسانيدهم على اختلاف الوقائع وفيها ما يتعلق بالصدىق والفاروق رضى الله عنهما وهأنذا أتعرض لنبذة يسيرة جداً من غير الأسانيد لأنه اللائق بهذه الورقات فمن أراد الكثرة فعليه بالنظر فى كتب الأئمة فإنها مجلدات والمهمل لذكرها قد نادى على نفسه بخبث طويته فى حق أصفياء الله عز وجل وأوليائه . أعاذنا الله من الزيغ والفتن ما ظهر منها وما بطن

(فمن ذلك) ما أخبر به أبو عبد الله الحسين وأبو علي ابن سعيد ابن نبهان وكان من فضلاء بغداد ورؤسائهم وغيرهما قالوا أراد رجل الحج فأحضره الأمير مقلد فقال يا فلان تريد الحج قال نعم قال إذا حجبت وأتيت المدينة فاقرأ علي النبي صلى الله عليه وسلم مني السلامة وقل له لولا صاحبك لزرتك قال الرجل فحجبت وأتيت المدينة ولم أقل الكلام عند القبر إجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الليل نمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي فقال لي يا فلان لم لم تؤد الرسالة من مقلد فقلت يا رسول الله أجللتك أن أقول في صاحبك ذلك فرفع رأسه إليّ رجل فقال له خذ هذا موسى واذبحه قال ففعل قال فوافيت العراق فسمعت أن الأمير مقلد ذبح علي فراشه فلما قدمت المدينة أي بغداد سألت عنه فقلت أنه ذبح علي فراشه فذكرت للناس الرؤيا التي رأيته فشاعت إلي أن بلغت الأمير قرواس ابن المسيب فأحضرني وقال اشرح لي الحال فشرحت له فقال أتعرف موسى قلت نعم فأحضر طبقاً مملوءاً موسى والموسى في الجملة فقال لي أخرج الموسى فضربت بيدي وأخذت الموسى الذي رأيته بيد المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد ناوله الرجل فقال صدقت هذا الموسى وجدته عند رأسه وهو مذبوح . ومن ذلك ما أخبر به علي ابن محمد قال سمعت رضوان اليماني وكان من الأخيار وأهل السنة قال كان لي جار في منزلي وفي سوقى وكان يشتم أبا بكر وعمر قال فكثير الكلام بيني وبينه فلما كان ذات يوم شتمهما وأنا حاضر فوقع بيني وبينه كلام حتى ناولته وناولني فانصرفت إلي منزلي وأنا مهموم حزين ألوم نفسي . قال فنمت وتركت العشاء

لشدة ما بى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى منامى فى ليلتى
فقلت يا رسول الله فلان جارى فى منزلى وفى سوقى يسب
صاحبك قال من من أصحابى قلت أبا بكر وعمر رضى الله عنهما
فقال لى خذ هذه المديّة واذبحه بها قال فأخذتها وأضجعتّه فذبحته
فرأيت كأن يدي أصابها من دمه فألقيت المديّة وأهويت بيدي إلى
الأرض أمسحها فانتبعت وأنا أمسح يدي فاسمع الصراخ من نحو
داره فقلت انظروا ما هذا الصراخ قالوا فلان مات فجأة فلما
أصبحنا جئنا انظر إليه لعلنى أن رؤياه حق فنظرت فإذا خط
موضع الذبح . ومن ذلك ما أخبر به يحيى بن عطاف المعدل
بالموصل . قال حكى لى شيخ دمشقى جاور بالحجاز سنين قال
جاورت بالمدينة الشريفة سنة مجدبة فخرجت إلى السوق لأشتري
برباعى دقيقاً فأخذ صاحب الدقيق منى الرباعى وقال العن الشيخين
حتى أبيعك الدقيق فامتعت عن ذلك فراجعتى مرات وهو يضحك
فضجرت وقلت لعن الله من لعنهما فلطم عيني فرجعت إلى المسجد
والدموع تسيل . قال وكان لى صديق زاهد جاور بالمدينة
سنين فسألنى عن حالى فذكرت القصة فقام معى إلى التربة
الشريفة وقال السلام عليك يا رسول الله فلما جن على الليل نمت
فلما أصبحت صادفت عيني أحسن مما كانت وكأنها لم يصبها ضر
ثم لم يكن إلا ساعة وإذا رجل مبرقع قد دخل من باب المسجد يسأل
عنى فدل على فجاء وسلم علىّ وقال ناشدتك الله إلا جعلتتى فى حل
فأنا الرجل الذى لطمتك فقلت لا أو تذكر لى قصتك فقال نمت
فرأيت رسول الله ﷺ قد أقبل ومعه أبو بكر وعمر وعلى فتقدمت
وقلت السلام عليكم فقال على رضى الله عنه لا سلام الله عليك

ولا رضى عنك أنا أمرتك أن تلعن الشيخين وجعل بإصبعيه كذا فى عيني ففقاهما فانتبهت وأنا تائب إلى الله تعالى وأسألك التجاوز عن جرمي فحين سمعت قوله قلت اذهب فأنت فى حل من قبلى . قال أبو النصر فكان هذا الشيخ الدمشقى ديناً صالحاً ناسكاً قدس الله تعالى روحه . كان على رضى الله عنه يقول أنا وأبو بكر وعمر كنفس واحدة من أحبنا جميعاً انتفع بمحبتنا ومن فرق بيننا فى المحبة لقى الله تعالى يوم القيامة ولا حجة له وكان أيوب السختياني يقول من أحب أبا بكر فقد أحب إمام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله تعالى . ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد فقد برئ من النفاق ومن انتقص أحداً منهم فهو مبتدع مخالف السنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعاً ويكون قلبه سليماً . على هذا الاعتقاد درج السلف وبذلك اقتدى العلماء خلفاً بعد خلف ومن ذلك ما أخبر به محمد بن عبد الله بن محمد الفقيه الحنبلى قال قد اجتمع جماعة فى الطريق قاصدين مكة فى عرض السنة وكان أحدهم كثير الصلاة والتعب فمات فأهمهم دفنه فنظروا إلى بيت شعر فى الصحراء فقصدوه فإذا فى البيت عجوز وفيه قدوم فسألوها أن تدفعه إليهم فقالت تعاهدوني بالله عز وجل أنكم تردونها إلى فأعطوها ما أرادت ثم أخذوا القدوم فحفروا به قبراً وواروا الرجل ونسوا القدوم فى القبر فذكروا العهود فدعتهم الضرورة إلى أن ينبشوا فإذا القدوم قد صار غلاً من يد الرجل إلى عتقه فردوا عليه التراب فأخبروا العجوز الخبر فقالت لا إله إلا الله رأيت

رسول الله ﷺ فى منامى فقال احتفظى بهذا القدم فإِنَّه غل لرجل يسب أباً بكر وعمر رضى الله عنهما . وأخبر العباس السنى قال : قال لى أحد المشايخ المعمرين كنت بجامع عمرو بن العاص ونحن فى صلاة أراها صلاة الصبح فسمعت ضجيجاً بصحن الجامع فلما فرغنا من الصلاة اجتمع الناس فرأوا رجلاً مذبوحاً فقال رجل من الحاضرين أنا ذبحته فإنى سمعته يسب أباً بكر وعمر رضى الله عنهما فحمل إلى السلطان فسأله عن القضية فقال أنا ذبحته فأمر السلطان بالرجل أن يحبس وبالمقتول أن يدفن فحفروا له موضعاً فوجدوا ثعباناً ثم حفروا له موضعاً آخر فوجدوا فيه ثعباناً فأخبروا السلطان بذلك فقال احفروا له قبراً ثالثاً فحفروا فإذا فيه ثعبان فقال ادفنوه وسرح القاتل قلت وبلغنى أنه لما دفن ابن تيمية قال شخص بعد ثلاثة أيام قد اضطرب القول فى هذا الرجل والله لأنظرن ما صنع الله به فحفر قبره فوجد على صدره ثعباناً عظيماً هاله منظره فكان الرجل يحذر الناس من اعتقاده ويعلمهم بما رأى والله أعلم . وذكر ابن أبى الدنيا فى كتابه مجابى الدعوة بسنده (أن مؤذنك) قال جرت أنا وعمر إلى بكران وكان رجل يسب أباً بكر وعمر رضى الله عنهما فنهيناه فلم ينته فقلنا اعتزلنا فاعتزلنا فلما دنا خروجنا قلنا لو صحبناه حتى يرجع إلى الكوفة فلقينا غلام له فقلنا له قل لمولاك يعود إلينا فقال إن مولاى قد حدث له أمر عظيم قد مسخت يداه يدى خنزير قال فأتيناه فقلنا له ارجع إلينا قال إنه حدث فى أمر عظيم وأخرج ذراعيه فإذا هما ذراعا خنزير قال فصبحنا حتى أتينا قرية من قرى السواد كثيرة

الخنازير فلما رآها صاح صيحة فمسخ خنزيراً وخفى علينا فجنبنا بغلامه ومتاعه إلى الكوفة وشاع أمره أعادنا الله تعالى من ذلك . واعلم أن من الشيعة طائفة تقول أن خير الناس بعد رسول الله ﷺ على رضى الله عنه وأن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ارتدا بعد الإسلام وقاتلا الناس ، ثم اعلم أن ما يتعلق بأمور الشيعة من هذا النوع وغيره كثير والمراد أن الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم واللواذ بقبره مع الاستعانة به كثير على اختلاف الحاجات وقد عقد الأئمة لذلك باباً وقالوا إن استعانة من لاذ بقبره وشكى إليه فقره وضره توجب كشف ذلك الضر بإذن الله تعالى . فمن ذلك ما أخبر به يوسف بن على قال ركبتى ديون فقصدت الخروج من المدينة الشريفة ثم جئت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغثت به فى وفاء دينى فتمت فرايت النبى ﷺ فأشار على بالجلوس فاستيقظت فقيض الله لى من وفى دينى . وقال بعضهم بلغنا أن أبا الليث يقرأ القرآن فى المصحف من غير تعلم سبق منه للكتابة وكنت أنكر ذلك قال فدخلت مكة فوجدته يقرأ القرآن فى المصحف قراءة محمودة فسألته عن سبب ذلك فقال كنت فى مدينة النبى ﷺ أبيت فى المسجد وأخلوا به فتشفعت إلى الله ﷻ بالنبى ﷺ أن يسهل على القرآن فى المصحف قال وجلست فأخذت سنة فرايت النبى ﷺ وهو يقول قد أجاب الله تعالى دعائك فافتح المصحف واقرأ القرآن ، قال فلما أصبح الصباح فتحت المصحف وشرعت أقرأ القرآن فكنت أقرأ فى المصحف فربما تتصفح على الآية فأنام فأرى من يقول لى الآية التى تصفحت عليك كذا وكذا . وذكر ابن عساكر فى تاريخه أن أبا القاسم بن ثابت البغدادى رأى رجلاً

دفع شبه من شبه وتمرد

بمدينة النبي ﷺ أذن الصبح عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال فيه الصلاة خير من النوم فجاءه خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك منه فبكى واستغاث بالنبي ﷺ وقال يا رسول الله في حضرتك يفعل بى هذا الفعل قال فضربه الفالج فى الحال وحمل إلى داره فمكث ثلاثة أيام ثم مات . وقال أبو العباس أحمد المقرئ الضرير التونسي جعت بالمدينة ثلاثة أيام فجئت إلى القبر وقلت يا رسول الله جعت ثم نمت ضعيفاً فلكرتني جارية برجلها فقمت إليها فقالت اعزم فقمت معها إلى دارها فقدمت لى خبز بر وتمراً وسمنا وقالت كل أبا العباس فقد أمرنى بهذا جدى رسول الله ﷺ قال أبو العباس فرجعت إلى بلادى فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمصر بعد رجوعى فقال أوحشتنا يا أبا العباس قراءتك وكنت أكثر قراءة القرآن عند ضريحه . قال الباجى كم قرأت من ختمة عند قبره قلت ألف ختمة . وقال أبو العباس أحمد اللواتى كانت عندنا بمدينة فاس امرأة وكانت إذا أصابها أمر أو شئ يفرعها جعلت يديها على عينيها واستغاثت بالنبي ﷺ فتغاث فلما توفيت قال لى قريب لها رأيته فى النوم فقلت لها يا عمة : رأييت الملكين الفتانين فقالت نعم جاءنى فعندما رأيتهما جعلت يدى على عيني وقلت يا محمد فلما نزعيت يدى عن وجهى فلم أرهما . وهذه القصة ذكرها بعض الأئمة وعزاها . وقال إن الاستغاثة من بعيد به ﷺ كالاستغاثة به عند قبره ﷺ . وساق عن أبى إسحاق الحسين قال كنت بين مدينة النبي ﷺ والشام فضل لنا جمل قال وكان قد بلغنى عن الشيخ أحمد الرفاعى أنه قال من كانت له حاجة فليستقل عبادان نحو قبرى ويمشى سبع خطوات ويستغيث فإن حاجته تقضى قال

فلما استقبلت عبادان وقصدت الاستغاثة هتف بى هاتف أما تستحى من رسول الله ﷺ وتستغيث بغيره قال فتحولت نحو المدينة فقلت يا سيدى يا رسول الله أن مستغيث بك قال فوالله ما استكملت ذلك إلا والجمال يقول لى هذا الجمل قد وجدناه . وسافر بعض الفقراء لقصد زيارة قبر النبى ﷺ فتاه فى الطريق فاستغاث بالنبى ﷺ فظهرت له قبة العباس رضى الله عنه وبينه وبين الموضع المذكور يومان أو نحوهما . وقال أبو الحجاج يوسف بن على قدس الله روحه وخرجت من مكة متوجهاً إلى المدينة على طريق المشاة فتهدت فى الطريق فاستغثت بالنبى ﷺ فإذا بامرأة آتية من نحو المدينة وهى تشير إلى أن أمشى على أثرها فلم أزل أمشى على أثرها إلى أن وصلت المدينة . وقال سمعت أبا عبد الله بن سالم يقول رأيت فى المنام كأنى فى بحر النيل وإذا بتمساح يريد أن يقفز على فخفت منه وإذا بشخص وقع لى أنه النبى ﷺ فقال لى إذا كنت فى شدة فقل أنا مستغيث بك يا رسول الله فكنت أفعل فأغاث فأراد بعض الإخوان السفر لزيارته ﷺ وكان ضريراً فحكيت له الرؤيا وقلت له إذا كنت فى شدة فقل أنا مستغيث بك يا رسول الله فسافر فى تلك الأيام فجاء إلى رابغ وهى غزيرة الماء وكان له خادم كان قد ذهب فى طلب الماء قال فبقيت القربة فى يدى وأنا فى شدة من طلب الماء فذكرت ما قلت لى وقلت أنا مستغيث بك يا رسول الله فبقيت أن كذلك وإذا بصوت يقول زم قربتك وسمعت صرير الماء فى القربة إلى أن امتلأت ولم أعلم من أين أتى القائل وقال سمعت محمد السلاوى يقول لما ودعت النبى ﷺ قلت يا حبيبى يا محمد يا سيد الكونين أنا أدخل الصحراء فإذا أخذتنى شدة أدعوا الله

وأوتسل بك وجئت إلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقلت لهما
كذلك قال فبقيت فى البرية سبعة أيام ووقعت فى جب وفيه ماء
فبقيت فيه من أول النهار إلى ما بعد الظهر فلم يبق إلا الموت قال
ففكرت ما كنت قلت عند النبى ﷺ وقلت يا حبيبى يا محمد الذى
كنت قلت لك وقلت كذلك لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما قال
فكأنى بمن حولنى وطلعت ببركة النبى ﷺ وصاحبيه رضى الله
عنهما . وقال أخبرنى رجل من مدينة طرابلس قال كنا جاثين
من الإسكندرية فى مركب فهاج البحر علينا وأشرفنا على
التلف والهلاك فقمنا إلى الناس فقلت استغيثوا بالنبى ﷺ فإنه
غياث فقلنا جميعاً الغياث يا رسول الله العفو يا رسول الله العفو
يا رسول الله جانين مذنبين استجرنا بك اجرنا يا محمد الحبيب
يا حبيبنا يا شفيعنا يا ولينا فنام رجل من أهل المركب مشهور
بالخير والصلاح فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ بيده فقال
انج وأبشروا بالسلامة فلما أفاق الرجل بشرنا برؤياه فلما أصبح
رجع البحر كالزيت وكأنه عقد بيضة وجئنا إلى طرابلس سالمين
ببركته صلى الله عليه وسلم وقال سمعت أبا الحسن العسقلانى
يقول ركبنا البحر فى طلب جدة فهاج علينا ورمينا ما معنا فيه
وأشرفنا على التلف فجعلنا نستغيث بالنبى صلى الله عليه وسلم
ونحن نقول وامحمداه وكان معنا رجل مغربى صالح فقال لنا ارفقوا
يا حجاج إنكم سالمون رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام
فقلت يا رسول الله أمتك يستغيثون بك قال فالتفت إلى أبى بكر
رضى الله عنه وقال يا أبا بكر أنجدهم قال فكأن عيني ترى أبا بكر
رضى الله عنه وقد خاض البحر وادخل يده فى مقدم الحق

دفع شبه من شبه وتمرد

ولم يزل يجذبها حتى دخل بها البر فلم تستغيثون فأنتم سالمون .
فسلمنا ولم نر بعد هذا إلا خيراً ودخلنا البر سالمين والحمد لله رب
العالمين . ولما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما يوم عاشوراء
أول سنة إحدى وستين وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة ونصف
سنة ونصف شهر ووقع ما وقع من السبي وحمل النساء والصبيان
فلما مروا بالقتلى صاحت زينب بنت علي رضي الله عنهما
مستغيثة بالنبي صلى الله عليه وسلم يا محمداه هذا حسين بالعرء
مزمّل بالدماء مقطّع الأعضاء يا محمداه ، فلما كان سنة ثلاث
وأربعمئة أخذ أهل الكوفة جذرى عظيم . ثم عمى منهم ألف
 وخمسمائة كلهم من نسل من حضر قتل الحسين رضي الله عنه .
وهذا من أعجب ما سمع واعلم أرشدك الله عز وجل أن مثل هذه
القضايا كثيرة جداً وقد ذكر جماعة من الأئمة من ذلك أموراً
عديدة عجيبة منهم البيهقي ومنهم أبو محمد عبد الحق ومنهم
بعض الأئمة وذكر جملة مستكثرة في ذلك وعقد أبواباً
في الاستغاثات بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنها باب في
أصحاب العاهات وذكر منها جملة مستكثرة من ذلك على
اختلاف أنواع العاهات كالعمى والصداق والزمانة ووجع
البطن وغير ذلك وأنه عليه الصلاة والسلام يضع يده
الشريفة على موضع العاهة فتزول ببركة يده الشريفة
وتشفى وكأنه ما به وجع قلبه^(١) ثم أنه مع ذلك قال
ولو تتبععت هذا الفن لحفيت الأقلام وجفت انمحابر وفنيت
الطروس في تتبعه والدفاتر . ثم قال ولقد سألت بعض إخواننا

(١) الصواب قبله اهـ مصححه

المجتهدين وكان بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم على التجريد
فقلت هل استغثت بالنبي صلى الله عليه وسلم أو لجأت إليه
فى شئ قط مدة إقامتك فى المدينة فقال كنت أستحى أن أسأله
إذ كنت بحضرته صلى الله عليه وسلم ثم قال سمعت الفقيه الإمام
برهان الدين بن الطيب المالكى يقول : قال لى من أتق به وكان
بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أصابه الجوع فأتى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنى جائع وجلس بالقرب من
حجرة النى صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل من الأشراف فقال له
قم فقال إلى أين فقال تأكل عندى شيئاً فقام معه إلى بيته فقدم إليه
جفنة فيها ثريد ولحم ودهن فأكل حتى شبع وأراد الانصراف فقال
له كل وازدد ، فلما أراد الانصراف قال له يا أخى الواحد منكم
يأتى من البلاد البعيدة ويقطع المفاوز والقفار ويترك الأهل
والأوطان ويقطع البحار ويأتى إلى زيارة النبي العظيم على ربه
صلى الله عليه وسلم وتكون همته أن يطلب منه كسرة خبز يا أخى
لو طلبت الجنة أو المغفرة أو البرضى مهما طلبته منه لنلتته ببركة
هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم^(١) هذا وعدم السؤال يكون

(١) هذا كلام جليل جداً فليتأمله القارئ ولا يستكثر على منزلته ﷺ عند ربه إغاثة أى
ملهوف فإنه تعالى يسمع له فى الآخرة فى الشفاعة العظمى التى تشمل كل خلق الله كافرهم
كمؤمنهم فيحمده لذلك الأولون والآخرين من الخلق وإذا كان تعالى يكرمه بذلك فى دار الجزاء
وقد غضب غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله فعلم كل ما يحكى فى هذه الدار من
أنواع إغاثته تعالى للمستغيثين به ﷺ بالنسبة لذلك المقام المحمود . وهو تعالى يشفع فى ذلك
اليوم عباده الصالحين فى إناس وجبت لهم النار فلا يدخلونها وفى إناس فى النار فيخرجون منها
فإغاثته إذن لمن يستغيث بهم فى هذه الدار فى أمور دون النار بملايين المرات ليست بالأمر البديع
وإنما كتبت هذا لأنى أعلم أن كثيراً من الناس لا يقع منهم موقع القبول ما يحكيه هذا الإمام رغم
نقله عن أئمة تحنى رعوس أكابر الفضلاء عند ذكرهم فأنا فى زمن لا يعرف أهله إلا الإنكار
وهم لا يعلمون أنهم إنما ينكرون إما فضل الله على أحبائه أو قدرته على ما ينسب إليه من
كرامة يكرم بها محبى أحبائه فليعلم ا هـ مصححه

دفع شبه من شبه وتورد

للأكابر لما يشاهدون فى الحضرة النبوية من الإجلالات والكرامات العلوية وأنت أرشدك الله عز وجل إلى الحق وأزاح عنك الباطل إذا استحضرت بعض ما تقدم وعطفت على قول هذا الزائغ أن المسلمين متفقون على أن الميت لا يسأل ولا يدعى ولا يطلب منه سواء كان نبياً أو شيخاً أو غير ذلك قطعت بفجوره وببهتانه وأنه من أخبث الناس طوية وأنه لا اعتقاد له وهذه عادته بإدعاء الاتفاق وبالإجماع المقطوع به كما سيأتى عند ذكر شد الرحال وأعمال المطى وفى غير ذلك . وقد تقدم توسل آدم عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم وأن الله قبله بسبب التوسل وجعل هذا الزنديق آدم عليه السلام يتوسله بالنبي صلى الله عليه وسلم ظالماً ضالاً مشركاً وليس وراء ذلك زندقة وكفر . وروى عن أبى الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضى الله عنها ذلك فقالت امضوا إلى القبر واجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينها وبين السماء شئ ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام التفتق وروى البيهقى بسنده إلى الأعمش عن ابن صالح قال أصاب الناس قحط فى زمن عمر رضى الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلك الناس استسق لأمتك فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال أنت عمر فاقرأه منى السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس قال فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر عليه السلام وقال يارب ما آلو إلا ما عجزت عنه . فهذا رجل مبارك قد أتى قبره عليه الصلاة والسلام وطلب الاستسقاء منه عليه الصلاة والسلام فلو كان ذلك جهلاً

وضلالاً وشركاً لمنعه عمر رضى الله عنه الذى احتج الزائغ باستسقائه بالعباس . وقد تقدمت قصة عثمان بن حنيف وهى من الأمور المشهورة . فسكوت هذا الزائغ القائل بمسألة الفرق تبعاً لسلالة اليهود عن هذه الأمور الواضحة الجلية المشهورة والعدول إلى الفجور من أقوى الأدلة على خبث طويته . ومثل هذا لا يحل لأحد تقليده فيما يقوله ولا ينظر فى كلامه إلا من يكون أهلاً لمعرفة دسائس أهل البدع والزيغ وإلا هلك وأهلك فقتبه لذلك وخذ حذرک وإلا هلك من حيث ظننت السلامة . وقوله (ولا يطلب منه شيء سواء كان نبياً أو شيخاً أو غير ذلك) قال الأئمة الأعلام النقاد أصحاب الأذهان الجيدة هذا منه كفر لما فيه من حط رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والإجماع على أن من غمط من نبى فى شئ من الأشياء كفر، وأيضاً فيه ترفيع غير الأنبياء إلى رتبة الأنبياء وإحاقهم بهم وفيه إشارة بعيدة ترجع إلى اعتقاد الشيعة^(١) . وهو أن النبوة عندهم تكتسب بالرياضات وتهذيب النفس ، وكتبهم مشحونة بهذا وهذا من فجورهم فإن النبوة إنما هى من الله عز وجل فمن نبأه الله عز وجل فهو النبى ومن أرسله فهو الرسول (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ومن الأمور المنتقدة عليه قوله (زيارة قبر النبى وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها) وهذا ثابت عنه أنه قاله . وثبت ذلك على يد القاضى جلال الدين القزوينى . فانظر هذه العبارة ما أعظم الفجور فيها من كون ذلك معصية . ومن ادعى الإجماع وأن ذلك

(١) هذا ليس اعتقاد الشيعة وإنما هو اعتقاد الفلاسفة هكذا روى على حاشية خط الشيخ

أهـ صاحب الأصل

مقطوع به فهذا الزائع يطالب بما ادعاه من إجماع الصحابة رضى الله عنهم . وكذا التابعون ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلى حين ادعائه ذلك . وما أعتقد أن أحداً يتجاسر على مثل ذلك مع أن الكتب المشهورة بل والمهجورة وعمل الناس فى سائر الأعصار على الحث على زيارته من جميع الأقطار . فزيارته من أفضل المساعى وانجح القرب إلى رب العالمين وهى سنة من سنن المرسلين ومجمع عليها عند الموحدين ولا يطعن فيها إلا من فى قلبه مرض المنافقين ومن هو من أفراخ اليهود وأعداء الدين من المشركين الذين أسرفوا فى ذم سيد الأولين والآخرين . ولم تزل هذه الأمة المحمدية على شد الرحال إليه على مر الأزمان من جميع الأقطار والبلدان ، سار فى ذلك الزرافات والوحدان والعلماء والمشايخ والكهول والشبان حتى ظهر فى آخر الزمان مبتدع من زنادقة حران لبس على أشباه الرجال ومن شابههم من سئ الأذهان وزخرف لهم من القول غروراً ، كما صنع إمامه الشيطان فصدّهم بتمويه عن سبيل أهل الإيمان وأغواهم عن الصراط المستقيم إلى ثنيات الطريق ومدرجة النيران فهم برزيتهم فى ظلمة الخطأ يعمهون وعلى منوال بدعته يهرعون . وسأذكر لك ما تحقق به فجوره وبدعته ، وتضليل من مشى خلفه وهلكته وأبين ما أظهره من القول الباطل وما رمز إليه وأوضحه لكل من سمعه ووقف عليه ثم أردف ذلك بما يدل على المنهج من ذلك فلا يزيغ عنه بعد ذلك إلا هالك . قال القاضى عياض فى أشهر كتبه الذى شاع ذكره فى سائر البلاد وقرئ فى المجامع والجوامع على رءوس الأشهاد .

فصل فى حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وفضل من زاره وكيف يسلم عليه ويدعو

وزيارة قبره سنة من سنن المرسلين مجمع عليها ومرغب فيها .
وروى عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من زار قبرى وجبت له شفاعتى) وعن أنس ابن مالك رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (من زارنى فى المدينة محتسباً كان فى جوارى وكنت له شفيعاً يوم القيامة) وفى حديث آخر (من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى) هذه ألفاظه بحروفها . وكذا ذكره الإمام العلامة هبة الله فى كتاب توثيق عرى الإيمان فهذا نقل الإجماع على خلاف ما نقله هذا الزائغ الفاجر المبالغ فى فجوره وعزوه إلى السلف وأما غير هذين الإمامين ممن نقل النذب إلى زيارته فخلق لا يحصون وسأذكر بعضهم على أنه ذكر فى فتوى مطولة ما يناقض ما ادعاه من الإجماع والقطع هنا وقد ذكرت المسألة فى [تنبيه السالك] وذكرت صورة الفتوى وجوابه وهذا جواب مطول وتعرضت لما فيه من الخل وسوء الفهم وفجوره فى النقل والعزو وهأنذا أذكر هنا بعض الجواب وأبين ما فيه من الخطأ وعدم صحة الاحتجاج بما احتج به كحديث لا تشد الرحال ولا أدقق فى الجواب لأن قصدى بيان جهله ، وأنه لا حجة له فى الحديث جرياً على القواعد التى عليها مدار الاستدلال صحة وبطلاناً . وأذكر ما ذكره فى أحاديث الزيارة وما ادعاه فيها من الفجور وما رمز إليه فى تكفير الأئمة الذين رووها وأنه قال قولاً مفترى لم يسبقه إليه أحد

دفع شبه من شبه وتُرد

ولا رمز ولا أشار إليه وبالله التوفيق فمن^(١) ما ذكره في الجواب بلفظ قوله . وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث بالأحاديث المزوية في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم . كقوله : (من زار قبري بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي) رواه الدارقطني وابن ماجه . فانظر أرشدك الله تعالى كيف جعل هذين الإمامين ممن لا يعرف الحديث وهو من أفبح البهتان . وقد احتج بهذا الحديث خلائق من أئمة الحديث غير هذين الإمامين منهم القاضي عياض وصاحب توثيق عرى الإيمان . وأبو الفرج ابن الجوزي في كتابه [مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن] ذكره في الباب الذي عقده لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم . ومنهم ابن قدامة ذكره في كتابه المغنى في فصل يستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم واستدل بحديث ابن عمر من طريق الدارقطني ومن طريق سعيد بن منصور وذكر أيضاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ما من أحد سلم علىّ عند قبري وقوله (وأما ما يذكره بعض الناس من قوله من حج ولم يزرني فقد جفاني فلم يورده أحد من العلماء) وهذا أيضاً من البهتان البين والجهل فقد روى هذا الحديث غير واحد من الأئمة بالفاظ متقاربة منهم الحافظ أبو عبد الله ابن النجار في كتابه (الدرة الثمينة) . من حديث علي رضي الله عنه ومنهم الإمام الحافظ المتفق على حفظه وعلو قدره في هذا الشأن أبو سعيد عبد الملك النيسابوري خرج في كتابه شرف المصطفى من حديث علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في

(١) توصل ما بمن اهـ مصححه

حياتي ومن لم يزرني فقد جفاني) . رواه ابن عساكر من طرق وقوله : (وهو مثل من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة) تنبه يا من أشير إليه بالعلم في قوله فإنه يشير به إلى أن الحديث الأول كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه سوى بينهما . وذكر الحديث الثاني توطئة لقصده الفاسد في إرادة تجاسره به والتمويه على العوام والضعفاء من الطلبة وهو شديد الاعتناء بهذا القصد الخبيث في الكلام على آيات الصفات وأحاديثها فليحذر الواقف على كلامه في آيات المتشابهة وأحاديثه غاية الحذر فإن الخطأ فيها كفر بخلاف غيرها من مسائل الفروع وقوله : (وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور قباء وأجاب عن حديث لا تشد الرحال بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب وأما الأولون فإنهم محتجون بما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا . وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به) انظر بصرك الله تعالى ما في هذا الكلام من الإيهام والتدليس فإنه قال : قال وقد احتج الشيخ أبو محمد على جواز السفر لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن النبي كان يزور قباء ولم يذكر راكباً وماشياً لأن الراكب قد شد الرحل وهو لا غرض له في ذلك وأيضاً فلم يذكر غير الشيخ أبي محمد وهو يوهم انفراده بذلك ولم ينفرد كما أذكره من بعد . وقوله (أجاب يعني أبا محمد عن حديث

(١) أول الحديث لا تشد الرحال ثم المذكور هنا ١ هـ مصححه

لا تشد الرحال بأن ذلك محمول على نفى الاستحباب (وهو يوهم أن ذلك لم يقله إلا الشيخ أبو محمد وهو من التدليس الذى هو كثير الاعتناء به والمكر السيئ قوله [أما الأولون يعنى القائلين بتحريم السفر وعدم جواز القصر فى سفر المعصية فإنهم يحتجون بما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا) وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به [وهو يوهم أنهم احتجوا لتحريم^(١) قبور الأنبياء وقبر النبى صلى الله عليه وسلم به وهو من التدليس الفاحش وهو مطالب بأن الأولين صرحوا بأن شد الرحال وأعمال المطى إلى قبره وقبر الخليل إبراهيم عليهما الصلاة والسلام حرام ومعصية ولا تقصر فيه الصلاة وهذا لا يجده بل الموجود غيره والندب إلى ذلك كما يأتى إن شاء الله تعالى وقد خاب من افترى ثم ما ذكره من انفراد الشيخ أبى محمد بأن الحديث محمول على نفى الاستحباب كذب وفجور وجهل فإنه لم ينفرد بذلك بل ولا الحديث مسوق لتحريم زيارة القبور وإنما هو لبيان فضيلة المساجد الثلاثة دون غيرها لأن المساجد الثلاثة مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعمل فيها يضاعف ما لا يضاعف فى غيرها وليس لزيارة القبور تعلق بالحديث ، ولما تكلم الأئمة على هذا الحديث ومنهم الإمام العلامة أبو زكريا يحيى النووى رحمته الله فى شرح مسلم قال : (فى الحديث فضيلة المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال إليها لأن معناه عند جمهور العلماء لا فضيلة فى شدها إلى مسجد غيرها . وقال الشيخ

(١) فيه حذف مضاف تقديره زيارة قبور الخ هـ مصححه

أبو محمد الجويني من أصحابنا يحرم شدها إلى غيرها وهو غلط وممر بيانه في باب سفر المرأة) . فصرح بأن جمهور العلماء إنما ذكروا ذلك في الفضيلة وصرح بأنه لا فضيلة في شد الرحال إلى مسجد غيرها ولم يتعرض للزيارة البتة قلت وجزم الشيخ محيي الدين رحمته بأن الشيخ أبا محمد جزم بالتحريم وهو ممنوع وإنما تردد في ذلك فقال ربما يحرم وربما يكره والله اعلم . وقال أعنى النووى في شرح مسلم في باب سفر المرأة واختلف في شد الرحال وأعمال المطى إلى غيرها لا الذهاب إلى قبور الصالحين والمواضع الفاضلة ونحو ذلك فقال الشيخ أبو محمد الجويني يحرم وهذا الذى أشار إليه عياض مختاراً له والصحيح عند أصحابنا واختاره الإمام والمحققون لا يحرم ولا يكره والمراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى الثلاثة خاصة انتهى . فذكر أولاً أن جمهور العلماء إنما ذكروا ذلك في الفضيلة وذكر ثانياً أنه قول المحققين وأنه لا يحرم ولا يكره وأن المراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى المساجد الثلاثة خاصة ولم يصرح بقبور الأنبياء وقوله وأن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى المساجد الثلاثة يفيد أن شد الرحال إلى غير الثلاثة فيه فضيلة إلا أنها غير تامة وإذا علمت ذلك وما قرره هذا العبد الصالح وما نقله استفدت منه أنه لا يجوز تقليد هذا الزائغ في نقله ولا يرجع إليه في تقريره لسوء فهمه وتدليس وسياىى إن شاء الله تعالى ما تقطع به بصحة ما قلته بلا شك ولا تردد . وأزيدك على ما ذكره النووى ما يؤكد ما قلته قال ابن قدامة الحنبلى في كتابه المغنى (فصل) فإن سافر لزيارة القبور والمشاهد قال ابن عقيل لا يباح له

دفع شبه من شبه وتمرد

الترخيص لأنه منهي عن السفر إليها قال النبي ﷺ : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) والصحيح إياحته وجواز القصر فيه لأن ﷺ كان يأتي قباء ماشياً وراكباً وكان يزور القبور . وقال زورها تذكركم الآخرة وأما قوله (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) فيحمل على نفى الفضيلة لا على التحريم وليس الفضيلة شرطاً في إياحة القصر ولا يضر انتفاؤها انتهى وفيه من الفوائد أنه صرح بأن الصحيح أن ذلك في نفى الفضيلة وأن المنع إنما نسبه إلى ابن عقيل فقط فأين قول ابن تيمية وطوائف كثيرون من العلماء من المتقدمين وابن قدامة واسع الباع في الاطلاع فكيف يقتصر على ابن عقيل وحده ويترك طوائف كثيرة من العلماء المتقدمين وهذه كتب الحنابلة وغيرها مشهورة فأين النقل فيها عن المتقدمين وهذا مما يعرفك أن ابن تيمية يكذب في الإجماع ومن تتبع ذلك وجده صحيحاً وينقل في بعض الأحيان شيئاً وهو كذب محقق وإذا نقل كلام الغير لم ينقله على وجهه وإن نقله على وجهه دس فيه ما ليس من كلام ذلك المنقول (١) فاعلم ذلك وتنبه له واحذر تقليده تهلك كما هلك وقول ابن عقيل لا يباح الترخيص لزيارة القبور لأنه منهي عن السفر إليها لم يصرح بقبور الأنبياء ولا بقبر النبي ﷺ ولم يعلم مراده وعلى تقدير إرادته ذلك فهو مخطئ

(١) هل الذي يبلغ في الخيانة في النقل إلى هذه الدرجة يعد من متوسطي المؤمنين فضلاً عن أفاضل العلماء فضلاً عن الأئمة المجتهدين وأنت تعلم أن العالم لا يكون عالماً ويشق الناس بمؤلفاته إلا إذا كان أميناً أمانة لا يتطرق إليها الشك أصلاً لأنه يتكلم في دين الله وأنا لا أدرى من هذا حاله كيف مدحه بعض الناس لاسيما إذا لوحظ ما تقدم من تكفيره بإجماع علماء المذاهب الأربعة وقد أجاد وأفاد من قال أن ذلك المدح صدر ممن مدح في أوائل أمر هذا الرجل فإنه كان يتظاهر بما يمدح به ولكن لما تبين حاله لم يمدحه إلا من يوافقه على مشربه لا بل هذا ذمه كل الذم ونصحها وقول المؤلف المنقول أي عنه اهـ مصححه

وضعيف الإدراك فى الاستدلال ألا تراه اعتمد على الحديث وما ابن عقيل وسيأتى إن شاء الله تعالى أن الحديث لا دليل فيه إلا عند عوام الفقهاء وأن من تمسك به فقد تمسك بما لا يفيد ولا بد من ذكر ألفاظ الحديث لتتم الفائدة وقد ورد بألفاظ مختلفة (أشهرها) : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى " (واللفظ الثانى) : " تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد من غير لفظ الحصر " (اللفظ الثالث) : " إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد مسجد الكعبة ومسجدى ومسجد إيلياء " وإيلياء بيت المقدس وهذه الروايات ذكرها مسلم فى فضل المدينة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وذكر قبل ذلك فى سفر المرأة من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه " لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى " وهذا بصيغة النهى والثلاثة الأول بصيغة الخبر وبصيغة النهى رواه الطبرانى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد إبراهيم ومسجد محمد ومسجد بيت المقدس وهذا اللفظ رواه ابن راهويه فى مسنده من حديث أبى سعيد رضي الله عنه . هذا ما يتعلق بلفظ الحديث وأما ما يتعلق بمعناه وما يدل عليه فاعلم أن الاستثناء فى الحديث مفرغ كما هو واضح ولا بد فيه من تقدير وهو شيئان . (أحدهما) لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى المساجد الثلاث وعلى هذا فلا حجة للخصم فيه والتقدير . (الثانى) : لا تشد الرحال إلى مكان إلا إلى المساجد الثلاث ولا بد من تقدير أحد هذين ليكون المستثنى مندرجاً تحت المستثنى منه . والتقدير الأول وهو لا تشد الرحال إلى مسجد أولى من التقدير الثانى وهو لا تشد الرحال إلى

دفع شبه من شبه وتمرد

مكان لأنه على التقدير الأول جنس قريب لما فيه من قلة التخصيص لأن التخصيص على تقدير إضمار الأمكنة أكثر فيكون مرجوحاً ولو خطر بالبال تقدير العموم في الحديث لكان خيالاً فاسد السياقة وللقرينة اللفظية فيه ولدخول التخصيص بالأدلة السمعية والعملية الكثيرة جداً أما سياقه فلأن الحديث إنما ورد لبيان شرف هذه المساجد الثلاثة^(١) وخيرتها على غيرها من المساجد كما مر من أنها مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولهذا تضاعف الأعمال فيها ما لا تضاعف في غيرها والمتكلمون على الحديث إنما يتكلمون في ذلك ونحوه من لزوم النذر المتعلق بها دون الزيارات ولهذا لما تكلم بعض المتأخرين على الحديث وأدرج ذكر الزيارة اعترض عليه في ذكر الزيارة وقيل لم يرد الحديث لذلك وإنما ورد لبيان شرف هذه المساجد دون غيرها وهذا كاف في بطلان الاحتجاج بالحديث لمنع زيارة القبور والزيادة على ذلك إنما هو على وجه التنزل فمن احتج بالحديث لمنع الزيارة ينبغي أن لا يرسم في حزب الفقهاء البتة لما قررنا وإن قلنا بعموم اللفظ فذلك لأن وقائع الأعيان إذا تطرق إليها الاحتمال كساها ثوب الإجمال وسقط بها الاستدلال وهذا في الاحتمال وإن كان فيه بعد . فما ظنك بهذا الحديث الذي لا احتمال فيه من لفظه وهو قرينة ظاهرة قوية ولها شاهد ظاهر الدلالة كما أذكره إن شاء الله تعالى ولاسيما وقد دخله التخصيص بالأدلة السمعية والعملية مع كثرة المخصصات على اختلاف أنواعها فمنها ما هو فرض عين ومنها ما هو فرض كفاية ومنها ما هو مندوب ومنها ما هو قرينة ومنها

(١) صوابه وخيريتها كما لا يخفى اهـ مصححه

ما هو مباح وصور هذه الأنواع لا تكاد تتحصر عدا فأما القرينة اللفظية فذكر المساجد الثلاث في الاستثناء وهو بعض المستثنى منه وهذا قوى جداً وإلى تكون بمعنى اللام إذ حروف الصلة ينوب بعضها عن بعض كما هو كثير في الكلام فالمعنى لا تشد الرحال لمسجد إلا للمساجد الثلاثة ويؤيد هذا أن رجلاً من التابعين قال لابن عمر رضى الله عنهما أريد أن أتى الطور قال إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد رسول الله ﷺ ومسجد الأقصى ودع عنك الطور فلا تأتته فهذا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من اجلاء الصحابة رضي الله عنهم لم يتكلم إلا فى شد الرحال إلى المساجد دون غيرها وهو أعلم بالحديث وموارده ومصادره وعلى منواله تكلم العلماء فى شد الرحال بالنسبة إلى المساجد وكذا ذكر القاضى عياض فى كتابه الإكمال ولم يتعرض لزيارة الموتى أصلاً وليس فى الحديث تعرض لمنع الزيارة ألبتة وبهذا وغيره يعرف أن دعوى أن الحديث يدل على منع الزيارة من كلام الجهلة العارين عن العلوم التى بها يصح الاستدلال والاستنباط وعلى سوء الفهم وبلادة الذهن وجموده وأن مثل هذا لا يحل لأحد تقليده ولا الأخذ بقوله لتحقيق جهله ببعض ما قررنا . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . ومثل هذا لا يزال يتخبط فى ظلمة جهله هو واتباعه وبالله التوفيق . وقوله فى جواب الفتوى (ولو نذر أن يأتى مسجد النبى ﷺ أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف وجب الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعى وأحمد ولم يجب عند أبى حنيفة لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان من جنسه واجب بالسمع) إلى آخره فقله وجب الوفاء عند الشافعى يوهم أن الشافعى جازم بذلك وليس

كذلك بل هو قول مرجوح عند الشافعي وعلل بأن مسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى لا يقصدان بالنسك فأشبهها سائر المساجد وقوله ولو نذر أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه أو يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة لم يجب ذلك باتفاق الأئمة وهذا أيضاً ليس بصحيح وما رأيت أجراً منه على الفجور ولا أكذب في دعوى الاتفاق والإجماع وقصده بذلك الترويج على الاغمار ولا عليه من غضب الجبار وفي كلامه مسألتان : الأولى إذا نذر أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه من غير المساجد الثلاث . وقد حكى الاتفاق على أنه لا يجب الوفاء بذلك . وهو البهتان البين ففي ذلك قولان آخران أحدهما يجب الوفاء مطلقاً والثاني أن نذرها في الجامع تعين وإلا فلا . المسألة الثانية إذا نذر أن يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة فإنها لا تجب عليه باتفاق الأئمة ثم أردف ذلك بقوله وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاث فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره حتى نص العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء لأنه ليس من المساجد الثلاث (فانظر إلى هذه الجراءة والفجور بقوله حتى نص العلماء والمسألة فيها خلاف وقد قال الإمام محمد بن مسلمة المالكي إذا قصد مسجد قباء لزمه لأن النبي ﷺ كان يأتيه كل سبت راكباً وماشياً بل قال الليث بن سعد إذا نذر المشي إلى أي مسجد كان لزمه سواء في ذلك المساجد الثلاثة وغيرها وقال الإمام ابن كج من كبار أصحابنا إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ فعندى أن يلزمه وجهاً واحداً ولو نذر المشي إلى مسجد النبي ﷺ ففيه قولان أحدهما لا يلزمه والثاني يلزمه فعلى هذا لا بد من ضم عبادة قيل يلزمه صلاة وقيل اعتكاف ولو لحظة والصحيح

أنه يتخير في مسجد النبي ﷺ بين الصلاة وبين زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم طاعة وهي أخص من القرية وجعلها تقوم مقام الصلاة التي هي أفضل عبادات البدن والمساجد موضوعة لها بالأصالة وقوله (وقالوا لأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة) . قلت لما وقف بعض الأئمة على هذا الكلام الباطل قال هذا من البهت الصريح . وصدق رضى الله عنه لما أذكره وفيه أيضاً تدليس من الفجور وبيان التدليس قوله قالوا فإنه يوهم أن هذا الذى قاله لم يقله من عند نفسه وإنما نقله عن أئمة المسلمين وأنه مجمع عليه وهذا شأنه يدل على الإغراء ليحمل الناس على عقيدته الفاسدة المفسدة لأنه لو عزاه إلى نفسه لما انتظم له ذلك لعلم الحذاق النقاد بسوء فهمه وكثرة خلطه مما عرفوه منه فى بحثه وتدوينه إذا انفرد فقوله (لأن السفر إلى قبور الأنبياء) يشمل قبر الخليل والكليم وقبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم وقوله (والصالحين) يشمل قبور الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم وهو مطالب بتصحيح ما عزاه إلى أئمة المسلمين وأنه مجمع عليه وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً بل المنقول خلاف ذلك كما تراه وقوله (إن السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين) هذا من الفجور والإفك المبين . ولم تزل الناس على زيارة قبر الخليل والكليم وغيرهما فى سائر الأعصار من جميع

الأمصار . وهذا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر من الشام إلى المدينة الشريفة لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وممن ذكر ذلك الحافظ بن عساكر والحافظ عبد الغنى المقدسى فى كتابه الاكمال فى ترجمة بلال وقال فيه ولم يؤذن لأحد بعد النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى إلا مرة واحدة فى قدمة قدمها إلى المدينة لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب إليه الصحابة رضى الله عنهم ذلك فأذن لهم ولم يتم الأذان . وقيل أنه أذن لأبى بكر رضى الله عنه فى خلافته ا هـ . وممن ذكر ذلك أيضاً إمام الأئمة فى الحديث أبو الحجاج الشهير بالمزى^(١) وسبب سفر بلال رضى الله عنه لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له ما هذه الجفوة يا بلال أما أن لك أن تزورنى يا بلال فانتبه من نومه حزيناً وجلاً خائفاً فقعد على راحلته من حينه وقصد المدينة فأتى قبره عليه الصلاة والسلام فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين رضى الله عنهما إليه فجعل يضمهما ويقبلهما ثم قال لا يا بلال نشتهى أن نسمع أذانك الذى كنت تؤذن للنبي ﷺ فى المسجد فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذى كان يقف فلما أن قال الله أكبر ارتجت المدينة فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها فلما قال أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا أبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فما روى يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم . فهذا بلال

(١) المزى بكسر الميم وتشديد ... أى نسبة إلى قرية بالشام ا هـ . مستنسخ الأصل

من سادات الصحابة رضى الله عنهم قد شد رحله من الشام وسافر لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام فقط ، وأعلم بذلك الحسن والحسين وطار بذلك الخبر فى المدينة وكان فى خلافة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ولم ينكر عليه ولا أحد من الصحابة رضى الله عنهم . ولو كان السفر لزيارة قبره مخالفاً للسنة وإجماع الأمة لأنكروا عليه لأنهم ينكرون أدنى شئ من المخالفات ولا سيما عمر وهو أمير المؤمنين وأشد الناس فى الإنكار وأبطشهم يداً وأحدهم لساناً ووقفاً مع الحق ولا تأخذه فى الله لومة لائم وأيضاً فمن الشائع الذائع أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان يبرد البريد من الشام لأجل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط ذكر هذا غير واحد منهم القاضى عياض فى أشهر كتبه وهو الشفاء وذكره الإمام هبة الله فى كتابه توثيق عرى الإيمان وذكره الإمام العلامة ابن الجوزى فى كتابه (مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن) وذكره الإمام أبو بكر أحمد ابن النبيل فى مناسك له لطيفة جردها من الأسانيد والتزم فيها الثبوت ولفظه وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرئ النبى صلى الله عليه وسلم السلام ثم يرجع وهذا الإمام أبو بكر قديم توفى فى سنة سبع وثمانين ومائتين فهذا السيد الجليل عمر ابن عبد العزيز يبعث الرجل لأجل السلام فقط لا لقصد آخر وكان ذلك فى زمن صدر التابعين وكان سفر بلال فى زمن صدر الصحابة رضى الله عنهم ولم ينكر ذلك أحد فدل على أن السفر لأجل زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ولأجل السلام عليه مجمع عليه بين الصحابة والتابعين فأين دعوى ابن تيمية لأن ذلك مخالف

للسنة ولإجماع الأمة وقد تقدم قول عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار ألا تسافر لتزور قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتمتع بزيارته فقال نعم يا أمير المؤمنين أفعل . وهذا أبو بعضه كاف فى إبطال دعوى ابن تيمية وإثبات فجوره وأتبرع بزيادة وأقتصر غاية الاقتصار . قال بعض الأئمة وأما زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فلم ينكرها أحد ولم يقع فى السفر إليها نزاع ولم يزل سفر الحجيج إليه فى السلف والخلف وصدق رضى الله عنه وهذه كتب العلماء من جميع المذاهب مصرحة بذلك وقد تقدم قول القاضى عياض : زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المرسلين ومجمع عليها ومرغب فيها واحتج بحديث ابن عمر وأنس رضى الله عنهم وقد ذكر غير القاضى عياض ما ذكره . وإذا تقرر ذلك فى ذكرى ما أتبرع به مع غاية الاقتصار تتحقق أن ابن تيمية من أعظم الكذبة والفجار . وقد انكشف لك ذلك كما انكشف ضوء النهار . فمن ذلك ما ذكره القاضى أبو الطيب وهو من أئمة الشافعية قال ويستحب أن يزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن يحج ويعتمر هـ . وكيف يزور من غير سفر سواء كان راكباً أو ماشياً وقال المحاملى فى كتابه التجريد ويستحب للحاج إذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم هـ . وقال الحليمى فى كتابه المنهاج عند ذكر تعظيم النبى ﷺ وذكر جملة ثم قال وهذا كان من الذين رزقوا مشاهدته وصحبته وأما اليوم فمن التعظيم بيان تعظيمه وزيارته وقال الماوردى فى كتابه الحاوى أما زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فأمور بها ومندوب إليها . وقال فى كتابه الأحكام السلطانية فى باب الولاية على الحجيج

وذكر كلاماً يتعلق بأمر الحاج ثم قال وإذا قضى الناس الحج أمهلهم الإمام الأيام التي جرت عادتهم بها فإذا رجعوا سار بهم على طريق المدينة للنبي صلى الله عليه وسلم ليجمع بين حج بيت الله عز وجل وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم رعاية لحرمة وقياماً ببعض حقوق طاعته وذلك وإن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الحجيج المستحسنة . فتأمل هذه العبارة من هذا الإمام وما اشتملت عليه من الفوائد الجليلة وقال الإمام العلامة المتفق على دينه وكثرة علومه وعلو قدره الشيخ أبو اسحاق الشيرازي . ويستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القاضي حسين نحوه وكذا الرويانى ولا حاجة إلى الإطالة بذكر من قال بزيارة قبره عليه الصلاة والسلام سواء فى ذلك قبل الحج أو بعده وذكر السير إليه كثير من أصحاب الشافعى : من جملتهم السيد الجليل أبو زكريا يحيى النووى قدس الله روحه . قال فى كتابه المناسك وغيرها (فصل) فى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم سواء كان ذلك على طريقه أم لا فإن زيارته صلى الله عليه وسلم من أهم القربات وأربح المساعى وأفضل الطلبات اهـ . وإذا عرفت هذا فأتبرع إليك بزيادة أخرى مع زيادة فائدة . قالت الحنفية أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة الواجبات وممن صرح بذلك الإمام أبو منصور محمد الكرماني فى مناسكه والإمام عبد الله ابن محمود فى شرح المختار . وقال الإمام أبو العباس السروجى وإذا انصرف الحاج من مكة شرفها الله تعالى فليتوجه إلى طيبة مدينة رسول الله ﷺ

لزيارة قبره فإنها من أنجح المساعي وكلامهم فى ذلك يطول وأتبرع بزيادة هى أبلغ فى تكذيب هذا الفاجر لأنها من كلام أئمة الحنابلة . قال ابن الخطاب محفوظ الكاواذى الحنبلى فى كتابه الهداية فى آخر باب صفة الحج استحب له زيارة قبره ﷺ وصاحبيه وفيه فائدة وهى استحباب شد الرحل إلى زيارة الصديقين رضى الله عنهما وقال الإمام أحمد بن حمدان فى الرعاية (١) الكبرى ويستحب لمن فرغ من نسكه زيارة قبر النبى ﷺ وقبر صاحبيه رضى الله عنهما وذلك بعد فراغ الحج وإن شاء قبله وذكر نحو ذلك غيرهم ومنهم الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه منير الغرام وعقد له باباً فى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام واستدل بحديث بن عمر وأنس رضى الله عنهم . وذكر ابن قدامة فى المغنى فصلاً فى ذلك فقال يستحب زيارة قبر النبى ﷺ واستدل بحديث بن عمر وأبى هريرة ؓ ولا أطول بذكرى من ذكره من أئمة الحنابلة تبعاً لإمامهم ؓ وأتبرع بزيادة لفوائد جملة ومهمة . فمن ذلك ما فى كتابى (٢) تهذيب الطالب لعبد الحق الصقلى عن أبى عمران المالكى أن زيارة قبر النبى ﷺ واجبة وقال عبد الحق فى هذا الكتاب رأيت فى بعض المسائل التى سئل عنها أبو محمد ابن أبى زيد قيل له فى رجل استؤجر بمال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من ذلك فقال يرد من الأجرة بقدر مسافة الزيارة وهى مسألة حسنة وفى كتاب النوادر لأبن أبى زيد فائدة أخرى فإنه بعد أن حكى فى زيارة

(١) هى الدعاية بالدال ا هـ مصححه

(٢) صوابه كتاب كما هو واضح ا هـ مصححه

القبور من كلام ابن حبيب ومن المجموعة عن مالك ومن كلام القرطبي بإسكان الراء وبالطاء المهملتين ثم قال عقبة^(١) ويأتى قبور الشهداء بأحد ويسلم عليهم كما يسلم على قبره ﷺ وعلى صاحبيه وفى الكتاب المذكور ويدل على التسليم على أهل القبور ما جاء فى السنة والتسليم على النبى ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما مقبورين . وقال العبدى المالكى فى شرح الرسالة إن المشى إلى المدينة لزيارة قبر النبى ﷺ أفضل من المشى إلى الكعبة وبيت المقدس وصدق وأجاد ﷺ لأنه أفضل البقاع بالإجماع فهذه نبذة يسيرة والنقول فى ذلك كثيرة جداً وفيها الإجماع على طلب الزيارة بعدت المسافة أو قصرت وعمل الناس فى ذلك فى جميع الأعصار من جميع الأقطار فكيف يحل لأحد أن يبدعهم بالقول الزور ويضلل أئمة أمة المختار بل من المصائب العظيمة أن يوقع وفد الله تعالى فى جريمة عظيمة وهى عصيانهم بشد رحالهم لزيارة قبره عقب ما رجوه من المغفرة وبتركهم الصلاة التى هى أحد أركان الدين لأنهم إذا لم يجزلهم القصر وقصروا فقد تركوا الصلاة عامدين ومن تركها متعمداً قتل إما كفراً وإما حداً ولا يصدر هذا إلا ممن هو شديد العداوة لوفاة الله تعالى ولحببيهم الذين^(٢) يرتجون بزيارتهم له استحقاق الشفاعة التى بها نجاتهم وسأذكر عقب هذه الأدلة الخاصة بالبحث على زيارته وأعرض لما قدح فيها وفى الأئمة رواتها ومنها تعلم أن هذا الخبيث لا دين له يعتمد عليه فتراه واضحاً جلياً لا تشك فيه ولا ترتاب فنسأل الله تعالى العافية مما

(١) هى عقبة بالقاف لا بالتاء اهـ مصححه

(٢) الذى بالافراد اهـ مصححه

دفع شبه من شبه وتورد

يرتكبه هذا الزائع الفاجر الكذاب . وأن يذيقه أشد العذاب . على ما أفسد فى هذه الأمة وسيلقى أشد الحساب . وقوله (١) إنما ذكروه من الأحاديث فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بل هى موضوعة ولم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها) أعوذ بالله من مكر الله عز وجل . أنظر أدام الله لك الهداية وحماك من الغواية إلى فجور هذا الخبيث كيف جعل الأحاديث المروية فى زيارة قبر خير البرية كلها ضعيفة ثم أردف ذلك بقوله باتفاق أهل العلم بالحديث ولم يجعل الأئمة الذين أذكروهم من أهل الحديث والعجب أنه روى عنهم فى مواضع عديدة من كتبه وهذا من جهله وبلادة ذهنه وعمادة قلبه من أنه لا يعلم تناقض كلامه ونقضه بذلك ثم أنه لم تخمد نار خبئه بما ذكره من الفجور حتى أردف ذلك بأن الأحاديث المروية فى زيارة القبر المكرم موضوعة يعنى أنها كذب وهذا شئ لم ير أحد من علماء المسلمين ولا من عوامهم فاه به ولا رمز إليه لا من فى عصره ولا من قبله قاتله الله تعالى ولقد أسفرت هذه القضية عن زندقته بتجرئه على الإفك على العلماء وعلى أنه لا يعتقد حرمة الكذب والفجور ولا يبالي بما يقول . وإن كان فيه عظام الأمور . وإذا عرفت هذا فينبغى أيها المؤمن الخالى من البدعة والهوى أن لا تقلده فيما ينقله ولا فيما يقوله بل تفحص عن ذلك وتسال غير أتباعه ممن له رتبة فى العلوم وإلا هلكت كما هلك هو

(١) وصوابه إن ما ا ه مصححه

وأتباعه^(١) ولنذكر بض الأحاديث الواردة في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وأذكر من رواها وأحذف الأسانيد لأنها لا تليق بهذه الأوراق وقد رويت من طرق بلغت بها منزلة الصحيح أو قاربت أو منزلة الحسن . وأذكر من صحح بعضها وأبين أنه من الأئمة الأعلام بالحديث وأنه يعتمد تصحيحه وبالله التوفيق . فمن الأحاديث في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام قوله صلى الله عليه وسلم (من زار قبري وجبت له شفاعتي) رواه غير واحد من أئمة الحديث منهم الدارقطني والبيهقي وغيرهما والحديث مروى بهذا اللفظ في عدة نسخ معتمدة وهو من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وخرجه أبو اليمان في كتابه إيجاف^(٢) الزائر وإطراف المغنم للسائر في زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجه الحافظ بن عساكر في تاريخه في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام بعد وفاته كان كمن زاره في حياته وخرجه العقيلي وغيره فلا نطول بذكر من رواه من أئمة الحديث المعبرين وهو مروى من طرق تبلغ الحسن قال أئمة الحديث . والحديث أو الأحاديث وإن لانت أسانيد مفرداتها فمجموعها يقوى بعضها بعضاً ويعتبر الحديث حديثاً حسناً ويحتج به وممن ذكر ذلك أبو زكريا النووى ذكره في شرح المذهب في كتاب الحج وهى فائدة جليلة ينبغي معرفتها ليعلم بها جهل هذا الفاجر المبالغ في فجوره وقوله عليه الصلاة والسلام وجبت له شفاعتي معناه حققت ولا بد منها

(١) لعلك في دهشة مما مر مفصلاً من تعدد كذب هذا الرجل في نقوله وأحكامه حتى تعدى كذبه الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ مصححه

(٢) لا أدرى أهو إيجاف كما ذكره أم إتحاف اهـ مصححه

دفع شبه من شبه وتمرد

بوعده الصادق وفي ذلك بشارة عظيمة لزوار قبره الشريف وهى أن من زاره محتسباً مات على التوحيد وهذه البشارة العظيمة من ثمرة زيارة قبره المكرم وفي قوله عليه الصلاة والسلام وجبت له شفاعتى تحقيق لما قلته لأجل إضافة الشفاعة إليه ولأنه عليه الصلاة والسلام مشفع لا ترد شفاعته لا فى حياته ولا بعد وفاته ولا فى عرصات القيامة وقال عليه الصلاة والسلام (من زار قبرى حلت له شفاعتى) رواه الحافظ البزار فى مسنده وهو بهذا اللفظ فى نسخة معتمدة وسمعا الحافظ أبو الحسين الصدقى على الإمام أبى عبد الله مورتش^(١) سنة ثمانين وأربعمائة ومعنى حلت وجبت وقد عرى عبد الحق هذا الحديث إلى البزار والدارقطنى وقال عليه الصلاة والسلام (من حج فزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى) رواه الدارقطنى فى سننه وغيرها وفى رواية ومن مات بأحد الحرمين بعث فى الأمنين يوم القيامة ورواه غير واحد وهو من حديث ابن عمر رضى الله عنهما . وروى من طرق ورواه الحافظ بن عدى فى كتابه الكامل بزيادة قال عليه الصلاة والسلام : (من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى وصحبنى) وذكر البيهقى فى سننه أنه ذكره ابن عدى وخرجه هو بدون هذه الزيادة وخرجه الحافظ بن عساكر من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال عليه الصلاة والسلام : (من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى) زاد السهمى وصحبنى ورواه الحافظ بن الجوزى بهذه الزيادة . وقال عليه الصلاة والسلام : (من حج البيت ولم يزررنى فقد جفانى)

(١) هو فرس كما فى الأصل ١ هـ مصححه

رواه ابن عدى فى كتابه الكامل وغيره وهو من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وخرجه الدارقطنى فى أحاديث مالك التى ليست فى الموطأ وهو كتاب ضخم وقال ابن الجوزى إن هذا الحديث موضوع وقد نسب ابن الجوزى فى ذلك إلى السرف فاعرف ذلك وقال عليه الصلاة والسلام : (من زار قبرى أو زارنى كنت له شفيعاً أو شهيداً) رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده وهو من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ورواه إمام الأئمة ابن خزيمة ورواه البيهقى وابن عساكر من جهة الطيالسى وروى بزيادة قال أبو داود الطيالسى حدثنا سوار ابن ميمون أبو الفرج العبدى قال حدثنى رجل من آل عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من زار قبرى) أو قال (من زارنى كنت له شفيعاً أو شهيداً ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله فى الأمنين يوم القيامة) وقال عليه الصلاة والسلام (من زارنى متعمداً كان فى جوارى يوم القيامة) رواه أبو جعفر العقيلي وغيره ومنهم الحافظ ابن عساكر وفى رواية الساحى^(١) . قال حدثنا هرون ابن قزعة عن رجل من آل الخطاب عن النبى ﷺ قال : (من زارنى متعمداً كان فى جوارى يوم القيامة ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين بعث فى الأمنين يوم القيامة) ومن هو فى جواره فهو فى الأمنين لا محالة ﷺ وقال عليه الصلاة والسلام : (من حج حجة الإسلام وزار قبرى وغزا غزوة وصلى فى بيت المقدس لم يسأله الله فيما افترض عليه ورواه الحافظ أبو الفتح الأزدى فى فوائده وهذا

(١) فى الأصل السحامى اهـ مصححه

أبو الفتح اسمه محمد بن الحسن وكان حافظاً من أهل العلم والفضل وصنف كتاباً في علوم الحديث ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه وابن السمعاني في الأنساب وأثنى عليه محمد بن جعفر بن غيلان وذكره بالحفظ وحسن المعرفة بالحديث وقال عليه الصلاة والسلام (من زارني محتسباً كنت له شافعاً أو شهيداً) وفي رواية من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جوارى يوم القيامة وهو من رواية أنس رضي الله عنه ورواه غير واحد وممن ذكره ابن الجوزي في كتابه مثير الغرام الساكن وهو من طريق ابن أبي الدنيا وروى من طرق وقال عليه الصلاة والسلام : (من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً ومن زارني وجبت له شفاعتي يوم القيامة وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزورني فليس له عذر) رواه الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود النجار في كتابه (الدررة اليتيمة في فضائل المدينة) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال : (من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زار قبري حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً) خرجه العقيلي ورواه ابن عساكر من جهته إلا أنه قال : (من زارني في المنام كان كمن زارني في حياتي وهي فائدة جلية وعن علي كرم الله وجهه أنه عليه الصلاة والسلام قال من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرنى فقد جفاني رواه الحسين بن يحيى بن جعفر في كتاب أخبار المدينة ورواه الحافظ أبو عبد الله بن النجار في كتابه الدررة اليتيمة من لم يزرنى فقد جفاني ورواه الحافظ أبو سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري في كتابه شرف المصطفى ﷺ وهذا الكتاب في ثمان

مجلدات . وأبو سعيد هذا له مصنفات فى علوم الشريعة توفى سنة ست وأربعمائة بنيسابور وقبره بها مشهور ويتبرك به وكان ينتفع بكلامه وبوعظه وتتجلى بكلامه القلوب قدس الله روحه ونور ضريحه . وقال عليه الصلاة والسلام من جاعنى زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتى كان حقاً على أن أكون له شافعاً يوم القيامة وفى رواية من جاعنى زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتى رواه غير واحد من الأئمة الحفاظ المشهورين من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ومنهم الطبرانى فى معجمه الكبير ومنهم الدارقطنى فى أماليه ومنهم أبو بكر ابن المقرئ فى معجمه ومنهم العلامة الحافظ أبو على سعيد بن عثمان بن السكن ذكره فى كتابه المسمى بالصحيح المؤثرة عن رسول الله ﷺ . يا هذا انتبه لما أذكره قال فى خطبة كتابه هذا . أما بعد فانك سألتنى أن أجمع لك ما صح عندى من السنن المأثورة التى نقلها الأئمة من أهل البلدان الذين لا يطعن فيهم طاعن مما نقلوه فتدبرت ما سألتنى عنه فوجدت جماعة من الأئمة قد تكلفوا ما سألتنى من ذلك وقد وعيت جميع ما ذكروه وحفظت عنهم أكثر ما نقلوه واقتديت بهم وأجبتك إلى ما سألتنى من ذلك وجعلته أبواباً فى جميع ما يحتاج إليه فى أحكام المسلمين فأول من نصب نفسه لطلب الصحيح البخارى وتابعه مسلم أبو داود والنسائى وقد تصفحت ما ذكروه وتدبرت ما نقلوه فوجدتهم مجتهدين فيما طلبته . فما ذكرته فى كتابى هذا مجملاً فهو مما أجمعوا على صحته وما ذكرته بعد ذلك مما أختاره أحد الأئمة الذين سميتهم فقد ثبتت حجة فى قبول ما ذكره ونسبته إلى اختياره دون غيره ، وما ذكرته فيما ينفرد به أحد أهل النقل

للحديث فقد بينت علته ودللت على إنفراده دون غيره وبالله التوفيق
 اهـ . فانظر أرشدك الله تعالى هذا الاتفاق من هذا الإمام
 والحرص على تحقيق ما وضعه في كتابه لم يقنع بوضع البخارى
 ومسلم وغيرهما مع جلالته بل تتبع ما وضعه حتى وضع فى
 كتابه وهذا شأن الأئمة الخائفين من الله ﷻ من أن يقع منهم زلل
 فى الاخبار عن رسول الله ﷺ ثم أنه رضى الله تعالى عنه ذكر فى
 هذا الكتاب فى كتاب الحج فى باب ثواب من زار قبر النبى ﷺ عن
 ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (من
 جاءنى زائراً لم ينزعه إلا زيارتى كان حقاً على الله أن أكون له
 شفيعاً يوم القيامة) ولم يذكر فى هذا الباب غير هذا الحديث وهذا
 حكم منه بأن هذا الحديث مجمع على صحته بمقتضى الشرط الذى
 شرطه فى الخطبة وهو ﷺ إمام جليل حافظ متقن كثير الحديث
 واسع الرحلة سمع بالعراق وخراسان وما وراء النهر وسمع بالشام
 ومصر وسمع من خلائق من أئمة الحديث والأجلاء أهل الدين وهو
 من القدماء أصله بغدادى وسكن مصر ومات بها فى نصف المحرم
 سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة رحمة الله تعالى عليه وعلى أمثاله
 وإذا كان هذا حديث صحيح^(١) فكيف يحل لأحد يؤمن بالله واليوم
 الآخر أن يجعله ضعيفاً فضلاً عن أن يجعله كذباً وأقل درجات الثقة
 الخائف أن يقول صححه فلان وأما القول بوضعه وبتكذيب هذا
 الإمام وأمثاله فلا يصدر إلا من زنديق محقق الزندقة بهذه القرينة
 وغيرها عائداً بالله ﷻ من ذلك . وإذا تقرر لك ذلك فانظر أرشدك
 الله تعالى وعافاك هذا الخبيث الطوية كيف طعن فى هذه الأئمة

(١) يكتب حديثاً صحيحاً لأنه خبر كان اهـ مصححه

الأعلام فى علوم الحديث الذين بهم يقتدى وعليهم يعول وعند
ذكرهم تنتزل الرحمة ورماهم بالوضع على رسول الله ﷺ وطعن
فى هذه الأخبار المروية عن هذه الأئمة . وهذا شأنه قاتله الله تعالى
كلما جاء إلى شئ لا غرض له فيه طعن فيه وإن كان مشهوراً
ومعمولاً به بين الأئمة ولا عليه لا من الله ﷻ ولا من رسوله ﷺ
ولا من الناس وتنبه لشئ عظيم رمى به هذه الأئمة وهو أن من
قاعده أن من كذب على النبى ﷺ متعمداً كفر فعليه من الله ﷻ
ما يستحقه وهذا وغيره يدل على أن عنده ضغينة للنبى ﷺ
ولصاحبيه وكذا لأئمة ليفوت عليهم هذا الخير الذى رتبته على زيارة
قبره عليه أفضل الصلاة والسلام فاحذروه واحذروا تزويق مقاتله
المطوى تحتها أخبث الخبائث فإنها لا تجوز إلا على عامى أو بليد
الذهن كالحمار يحمل أسفاراً أو خال من العلوم وأخبار الناس وبالله
تعالى التوفيق والله اعلم . قال عليه الصلاة والسلام أن بين يدى
الساعة دجاجة (١) فاحذروهم رواه مسلم فى صحيحه من حديث
جابر ابن سمرة ؓ وقوله وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال
فى مرض موته : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد) يحذر ما فعلوه قالت عائشة ولولا ذلك لابرزوا قبره ولكن
كره أن يتخذ مسجداً فهم دفنوه فى حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه
من الدفن فى الصحارى لئلا يصلى أحد عند قبره ويتخذ مسجداً
ويتخذ قبره وثناً الخ ... تأمل بصرى الله تعالى وفهمك كيف بعد
تضليل هذه الأئمة وفجوره بادعاء أن هذه الأحاديث المتعلقة

(١) هذا أخبار من المصنف إلى أن هذا الرجل دجال وهو يزيد ما سبق لنا من أن أفعاله
أفعال دجاجة اهـ مصححه

بالزيارة كذب كيف أردف ذلك بهذا الحديث محتجاً به على منع زيارة القبر الشريف وفيه من أقوى الأدلة على تدليسه وسوء فهمه إذ الحديث ليس فيه تعرض للزيارة البتة وإنما فيه منع اتخاذ القبور مساجد ونحن لم نتخذ قبره المكرم المعظم مسجداً ولا نصلى فيه ولا إليه بل نزوره وندعوا مع الأدب والخشوع والسكينة ورؤية العظمة لعلنا بأنه يسمعننا ويجيبنا وعلى ذلك جرت عادة المؤمنين قال بعضهم رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ أتى قبر النبي ﷺ فوقف ورفع يديه حتى ظننت أنه قد افتتح الصلاة فسلم على النبي ﷺ ثم انصرف وقوله فهم دفنوه في حجرة عائشة رضى الله عنها خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحارى لئلا يصلى أحد عند قبره ويتخذ مسجداً فيتخذ قبره وثناً هذا أيضاً من التدليس منه وسوء الفهم على عادته وما قاله باطل يموه به على الضعفاء من الطلبة وغوغاء الناس وإنما دفنوه في حجرة عائشة رضى الله عنها لما روى لهم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدفنون حيث يقبضون وكان ذلك بعد اختلافهم أين يدفن فقال بعضهم يدفن في مسجده وقال بعضهم مع إخوانه فقال أبو بكر رضي الله عنه عندي من ذلك علم فذكر لهم أن النبي يدفن موضع يقبض فلما روى لهم الحديث دفنوه موضع قبضه وهذا من القضايا المشهورة في غاية الشهرة ولا نعلم أن أحداً قال أنهم دفنوه موضع قبضه للمعنى الذى ذكره وهذا شأنه إن وجد شيئاً يوافق هواه وخبث طويته ذكره ووسع الكلام فيه وزخرفته وإن وجد شيئاً عليه أهمله أو حملة على محمل يعرف به أهل النقل جهله وتدليسه عند تأمله فى بعض المواضع يعرف من غير تأمل وقوله وكانت الصحابة

والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد لا يدخل للصلاة هناك ولا يتمتع بالقبر ولا دعاء هناك هذا أيضاً من الجسارة التي يزخرف بها على العوام وأشباههم من سيئ الأفهام من الطلبة فإن هذا لا يدل على مراده من منع الزيارة بل كلامه يدل على الزيارة بلا هذه الأفعال إلا الدعاء فليس كما قال وسيأتي إن شاء الله تعالى ومع ذلك ليس مجمعاً عليه كما زعمه وأوهمه كلامه فإن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه زار والتزم القبر فأنكر عليه مروان ابن الحكم فوبخه أبو أيوب وقال في كلامه ما معناه ابكوا على هذا الأمر إذا وليه غير أهله ^(١) . ذكر ذلك أبو الحسين في كتابه أخبار المدينة . وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه وضع يده على موضع مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه ^(٢) وكان ﷺ يتردد إلى الأماكن التي كان يتردد إليها رسول الله ﷺ وبراحلته لأجل التبرك وقد تقدمت قصة بلال رضي الله عنه لما شد رحله لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام فلما وصل الضريح المكرم جعل يمرغ وجهه عليه ويبكي ^(٣) وقوله ولادعاء هناك

(١) في ذلك جواز ضم قبور الصالحين وأبو أيوب الأنصاري الذي ضم ضريح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم هو وأبو أيوب وكفى أ هـ مصححه
(٢) في ذلك جواز التبرك بأثار الصالحين لئلا كانت حتى الخشب الذي كانوا يجلسون عليه وابن عمر هو ابن عمر أ هـ مصححه
(٣) انظر تمرغ سيدنا بلال وجهه على ضريح خير الخلق وبلال هو بلال تجده صورة طبق الأصل لما يحصل من كثير من الزائرين اليوم والزائرات للصالحين من أهل البيت وغيرهم ويقعد كثير من المتتبعين لذلك ولا يرضون لفاعله غير الشرك بالله ليحكموا بذلك على بلال الذي يعد من أجلاء الصحابة وهو مؤذن رسول الله ﷺ ليعلم أولئك المتتبعون أن ذلك أشر وجد في النفوس لا يشعرون هم به يحمل أهله على التبرك بما يجاور حبيب ربهم وهو من باب قول القائل :

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار
هذا قصد أولئك المؤمنين في لمسهم ضريح الصالح من العباد لا العبادة كما يتوهم مظلوما القلوب مسينو الظن بالمؤمنين فليعلم أ هـ مصححه

قضية سياقه أن الإجماع على أنه لا يدعو عند القبر وهى دعوى عريضة ثم أكد ذلك بقوله إنما يفعلونه فى المسجد ثم أردف ذلك بقوله وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلى القبلة ولم يستقبلوا القبر ثم قال وأما وقت السلام فقال أبو حنيفة يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر وقال أكثر الأئمة يستقبل القبر عند السلام خاصة ولم يقل أحد من الأئمة أنه لا يستقبل القبلة عند الدعاء إلا فى حكاية مكذوبة عن مالك ومذهبه بخلافها ثم أردف هذا بأمر يجسر بها على الإغمار يتخيل الواقف عليها من العوام حسم باب الزيارة لقبره عليه الصلاة والسلام والحاصل من كلامه أنه لا يدعى عند القبر بالاتفاق ولا يستقبل القبر عند الدعاء بالإجماع وأن الحكاية التى وقعت بين مالك وأبى جعفر المنصور كذب سبحانه هذا بهتان عظيم وهذا من الفجور الذى لا أعلم أحداً فاه به ولا رمز إليه لا من العلماء ولا من غيرهم . أما قضية مالك مع المنصور فقد ذكرتها فى الكلام على التوسل فإنها صحيحة بلا نزاع ، وأما الدعاء عند القبر فقد ذكره خلق ومنهم الإمام مالك وقد نص على أنه يقف عند القبر ويقف كما يقف الحاج عند البيت للوداع ويدعو وفيه المبالغة فى طول الوقوف والدعاء وقد ذكره ابن المواز فى الموازية فأفاد ذلك أن إتيان قبر النبى صلى الله عليه وسلم والوقوف عنده والدعاء عنده من الأمور المعلومة عند مالك وأن عمل الناس على ذلك قبله وفى زمنه ولو كان الأمر على خلاف ذلك لأنكره فضلاً عن أن يفتى به أو يقره عليه . وقال مالك فى رواية ابن وهب إذا سلم على النبى ﷺ ودعا ، يقف ووجه إلى القبر لا إلى القبلة ويدعو ويسلم

ولا يمس القبر بيده نعم فى المبسوطه لا أرى أنه يقف عنده ويدعو ولكن يسلم ويمضى . وإنما ذكرت كلام المبسوطه لأن من حق العالم الذى يؤخذ بكلامه أن يذكر ماله وما عليه لأن ذلك من الدين وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله السامري فى كتاب المستوعب فى باب قبر النبى صلى الله عليه وسلم . وإذا قدم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم استحباب له أن يغتسل لدخوله ثم يأتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقدم رجله اليمنى فى الدخول ثم يأتى حائط القبر فيقف ناحيته ويجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره ثم ذكر كيفية السلام والدعاء وأطال ومنه اللهم أنك قلت فى كتابك لنبيك عليه الصلاة والسلام ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاءوك الآية . وأنى قد أتيتك مستغفراً فأسألك أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حال حياته اللهم أنى أتوجه إليك بنبيك وذكر دعاء طويلاً ثم قال وإذا أراد الخروج عاد إلى القبر فودع وهذا أبو عبد الله من أئمة الحنابلة وساق هذا الكلام سياق المتفق عليه ومن جملة ما أفاد أنه يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم ويتوجه به بعد وفاته كما فى حياته وأن الآية عامة وشاملة للحياة وبعد الوفاة فتنبه لذلك وكذلك ذكره أبو منصور الكرماني من الحنفية أنه يدعو ويطلب الدعاء عند القبر المكرم وقال الإمام أبو زكريا النووى فى مناسكه وغيره فصل فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وذكر كلاماً مطولاً ثم قال فإذا صلى تحية المسجد أتى القبر فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من جدار القبر وسلم مقتصدًا لا يرفع صوته وذكر كيفية السلام ثم قال ويجتهد فى إكثار الدعاء ويغتنم هذا الموقف الشريف

الخ ... فهذه نقول الأئمة بتطويل الدعاء عند القبر المكرم وقد خاب من افترى وكل أحد تلحقه الخيبة على قدره . وقوله : وهذا كله محافظة على التوحيد فإن من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى : ﴿ لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً قالوا كان هؤلاء قوماً صالحين ﴾ في قوم نوح فلما ماتوا اعتكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوها وقد ذكر ذلك المعنى البخارى في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما وذكره ابن جرير الطبرى في تفسيره وغيره من غير واحد من السلف الخ . وأنت أيها اللبيب أرشدك الله عز وجل وزادك بصيرة وفهماً إذا تأملت هذا الاستدلال منه قطعت بجهله وبخلطه فى خطبه وعلمت بذلك سوء فهمه وخيالاته الفاسدة ومن نفس الدليل تعلم ذلك فإنه تخيل بذهنه الجامد وخياله الفاسد أن منع الزيارة والسفر إليها من المحافظة على التوحيد وأن الزيارة تؤدى إلى الشرك وعبادة الأوثان وهذا خيال فاسد لأن اتخاذ الصور مساجد وعيذاً والعكوف وتصوير الموتى فيها هو المحذور والمؤدى إلى الشرك عند تطاول الزمان ، وهذا هو الممنوع منه كما هو مصرح به فى الأحاديث الصحيحة فى قوله عليه الصلاة والسلام لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا . وفى قوله عليه الصلاة والسلام لما أخبر بكنيسة بأرض الحبشة قال أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عن الله ^{عز وجل} فهذا هو الذى حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما

دفع شبه من شبه وتمرد

الزيارة والسلام على الميت والدعاء له وعنده فلم يؤد إلى ذلك ولا له تعلق بتلك الأمور . ومن تخيل ذلك فهو من سوء فهمه في هذا الأمر الواضح ولو كان يؤدى إلى ذلك لما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبلغ من ذلك لما أمره الله عز وجل بالخروج إلى قبور الشهداء الذين أكرمهم بالشهادة حين نزل عليه جبريل عليه السلام وأمره بأمر الله تعالى بالخروج إلى بقيع الغر قد بل كان نهاه أن لو أراد الخروج ، وأيضاً فإنه عليه الصلاة والسلام قال زوروا القبور كما رواه مسلم وغيره بزيادة إلى غير ذلك مما علمهم عليه الصلاة والسلام كيفية الزيارة كما جاء في الأحاديث في زيارتها قولاً وفعلاً . وتواتر ذلك وأجمع عليه المسلمون حتى أن منهم من أوجب زيارتها لظاهر قوله عليه الصلاة والسلام زوروا القبور فلو كانت الزيارة من الأمور التي تؤدى إلى الشرك كاتخاذها مساجد وعباداً والتصوير ونحو ذلك لم يشرعه الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وبفعله وقد أطلعه الله عز وجل على ما أراد من غيبه وبعثه بدينه القويم وهو الصراط المستقيم ولا فعلها الصحابة رضى الله عنهم الذين هم من أصفياء الله تعالى بل كانوا أحرص الناس على ذلك خوفاً من إعادة ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بإماتته ودفنه وإندراس أثره والله أعلم .

وأنت أيها العاقل الفطن إذا تصورت ما نقلته لك وتعلقت به بذهنك الصحيح علمت وتحققت أنه ليس لأحد أن يحرم إلا ما حرم الله تعالى ورسوله وأنه لا يحل له التهجم على موارد الشرع ومصادره بخيالاته الفاسدة وأنه بذهنه الجامد أدرك ما لم يدركه

الصحابه رضى الله عنهم ولو فتحنا هذا الباب وتتبعنا هذه الخيالات الفاسدة لهدمنا أموراً كثيرة من الدين ولا انحلت عراه عروة عروة وتبدلت بعد الجهالة ولمات الدين وذلك من الخسران المبين شعر :

فالقول ما قال النبي وصحبه فإذا اقتديت بهم فنعم المقتدى

واعلم أن من جملة ما احتج به على منع زيارة قبره عليه الصلاة والسلام حديث اللهم لا تجعل قبرى وثناً وعيداً . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وهذا من أظهر الأمور على عمى قلبه وطمس بصيرته كيف يتخيل متخيل فضلاً عن أن يعتقد معتقد أن قبره المكرم المعظم يصير وثناً كلا والذي رفع ذكره وأعلى قدره وعظمه وملاً كتابه بذلك لا يمكن تصور ذلك وكيف يتصور وهو لا ترد له دعوة ولو فى حق غيره فكيف بما هو فى حقه . وهذا من المعلوم الشائع الذائع عند المتسع الباع ولو عددت لك نقطة من ذلك . مع الاقتصاد لضاقت القراطيس والألواح . ولما أدرك غبار مبادئه ولما لاح . دعا عليه الصلاة والسلام لسعد ابن أبى وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له . وإذا كان هذا قد ناله ببركة دعوته فكيف بدعائه لنفسه لاسيما فى هذا الأمر الفظيع . ومرض أبو طالب فعاده عليه الصلاة والسلام فقال أدع ربك أن يعافينى فقال اللهم اشف عمى فقام فى الحال كأنما نشط من عقال فقال له يا ابن أخى أيطيعك ربك فقال يا عماء لئن أطعت الله عز وجل ليطعنك . ودعا عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة رضى الله عنها أن الله لا يجيعها قالت رضى الله عنها فما جعت بعد . ودعا عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه أن يكفيه الحر والبرد فكان يلبس فى الشتاء ثياب الصيف وفى الصيف

ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد . ودعا عليه الصلاة والسلام لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلم التأويل فكان كذلك وكان بعد ذلك يسمى الحبر وترجمان القرآن . ودعا لعبد الرحمن ابن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئاً إلا ربح فيه . ودعا عليه الصلاة والسلام لعروة بن أبي الجعد فكان لو اشترى التراب لربح فيه . ودعا عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه بالبركة ، قال عبد الرحمن فلو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً . وندت له عليه الصلاة والسلام ناقة فدعا بردها فجاءها إعصار ريح حتى ردها عليه فانظر كيف من كساه خلع القرب والمنزلة عنده أن جعلها سائسة بغيره . والإعصار أحد الأعاصير وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود . وفي حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يوحى إليه ورأسه في حجر على رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء رضي الله عنها فرأيتهما غربت ثم رأيتهما طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال وذلك بالصباح بخير . وقيل رجعت حتى بلغت نصف المسجد ومثل هذا كثير جداً وقد ذكرت جملة من ذلك في فصل الحج في كتاب (تنبيه السالك على مظاهر المهالك) :

يا من أمد أبا هر بمزودة فأوقرت منه للغادين أحمال

جنائك نظوى الفجاج المقفرات على عيس لها في السرى وجد وار قال

دفع شبهه من شبهه وتورد

قال أبو هريرة رضى الله عنه أصاب الناس مخمصة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شئ فقلت نعم شئ من التمر فى المزود قال فأتى به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوها حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا ثم قال خذ ما جئت به وأدخل يدك وأقبض منه ولا تكفه فقبضت على أكثر ما جاءت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما إلى أن قتل عثمان رضى الله عنه فانتهب منى فذهب . وفى رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا أوسقاً فى سبيل الله تعالى فقد تحققت بهذا فضلاً عن غيره وهو مثل الرمال كثرة يا صحيح الذهن وقوى الإيمان به أنه لا يكون قبره وثناً ألبتة بل فى الحديث الصحيح قد أيس الشيطان أن يعبد فى جزيرة العرب أو مثل هذا السيد المعظم المكرم لا يتوسل به ولا تشد الرحال إليه قائل الله العزيز من قاله وضاعف العذاب عليه :

جدير بنا نسعى إليه وندلج فذاك الذى يسعى إليه ويدلج
جعلنا إليه فى الحياة احتياجنا ونحن إليه فى القيامة أحوج
جميع الورى والرسل تحت لوائه ومن ذاله عن جاه أحمد مخرج
أو لهذا السيد الجليل المبجل لا يشد إليه رحل ولا يتوسل به قائل
الله قائله وجعله على رصف جهنم يتمايل :

زكا قدره من ذا يجاربه فى العلا وأعلامه فى ذروة العز تركز
زحاماً ترى للرسل تحت لوائه وكل نبى باللوا يتعزز
زعيم بتعجيل الشفاعة عندما أولو العزم عنها فى القيامة تعجز
زفير لظى عنا يرد بجاهه إذا هى من غيظ علينا تميز

زكاة على الأبدان تسعى لقبره فسيروا وزوروا فالغنائم تحرز
فمن زاره نال السعادة كلها ومن مات عجزاً ذاك والله أميز

فمن توسل به عليه الصلاة والسلام إنما توسل به لعلو قدره
ورتبته . وارتفاع منزلته وكمالها عند ربه وعظيم إجلاله وفضله
على جميع خلقه كما أخبر هو عن نفسه فإنه سيد الأولين
والآخرين وحبيب رب العالمين وأحب الخلق إليه أجمعين
ذلك شائع وذائع في الأقدمين والآخرين حتى في أعدائه
المبطلين :

قديماً بدا قبل النبيين فضله وإن قدموا بعثاً ففي الفضل أسبق
قضى الله أن لا يلحق الرسل لاحق ولا أحد منهم بأحمد يلحق
قطعنا بأن لا يخلق الله شبهه قديمياً ولا في آخر الخلق يخلق
قل الحق هل تدري لأحمد مشبهاً فبادر وقل لا لا فإنك تصدق
قرأنا أحاديثاً صحاحاً بأنه عليه لواء الحمد في الحشر يخفق
قياماً له الأملاك والرسل تحته ومن حوله صفوا وحفوا وأحدقوا
قوى ولكن لين في أناسه رقيق ولكن بالمساكين أرفق
قريب لأرباب الحوائج ما ترى لأحمد حجاباً ولا الباب يغلق

وكيف لا يكون كذلك وهو كما قيل فيه :

أكرم العالمين أصلاً وفصلاً وجلالاً وسيد البطحاء
خص بالحوض والشفاعة في الحشر لكل الورى ورفع اللواء
والمقام المحمود والسبق للناس س دخولاً في الجنة الفيحاء
ثم يعطى وسيلة هي أعلى درجات الجنان ذات البقاء
هو جارى وعدتى ونصيرى وعمادى فى شدتى ورخائى

وليس هذا خاصاً بى وبفقرى بل هو كما قيل فيه :

له المقام الذى ما ناله أحد وهو الشفيع الذى تتجى شفاعته
والفخر والمجد والإحسان والحسب محمد خير خلق الله قاطبة
كل الأنام إذا ما مسها العطب وهو الذى لفخار المجد يكتسب
نوه به يا منادى الحى إن به عزول عن قلبى الآلام والكرب
عان له مقلة تشتاق تنظره ومهجة بلهيب الشوق تلتهب

وكيف لا تلتهب وقد شاهدت ما شاهدت مما لا يمكن النطق به
ولا أفوه . وكيف كيف أسلوه :

رعى الله بالبطحاء أيامنا التى معزتها يحلو خضوعى وذلتى
وحيا قباباً بين سلع إلى قبا نعمت بها لكن كأحلام نائم
فهل لى إلى تلك العوالم عودة كان لم تزرها العيس حتى تولت
والثم إجلالاً ثراها وأجتلى ولو دونها بيض الصورام سلت
سقى الله ذات الظل من دارة الحمى شموسى فى أرجائها وأهلتى
وسحت على أعلام سلع مديمة حى نهلت منه رباها وعلت
فتلك لعمر الله دار أحببى غمائم بالنوء الروى استهلكت
ألا ليت شعرى هل أزور قبابها وسكانها كل المراد وبغيتى
وأنشد فى أكنافها مترناً فتحمد فيها العيس شدى ورحلتى
ألا يا رسول الله أنت وسيلتى لمن نظم مدحى فيه بيت قصيدتى
وإن شئت قلت إلى الله إذ ضاقت بما رمت حيلتى
إلى الله فى غفران ذنبى وزلتى

فالتوسل به عليه الصلاة والسلام لم يزل منذ آدم عليه السلام
لا يتوقف فيه أحد ولا يطعن إلى أن ظهر بعض زنادقة اليهود
وغلاتهم فى بغضه عليه الصلاة والسلام قال وإنه بموته بطلت

حرمته وجاهه فلا يتوسل به ولا يقال يا جاه محمد وتم ذلك بتوارث
سلالتهم معتقدين ذلك مصرين عليه ثم زاد هذا الخبيث أن التوسل
به شرك وقرره بتقرير الحق بقوله ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى
الله زلفى ﴾ وذلك يدل على أنه من أجهل الجهلة فإن التوسل به
عليه الصلاة والسلام معناه أسأل الله ﷻ برسوله وأتشفع إليه به
فهو سائل لله ﷻ لا لغيره ولا يلزم من التوسل به أو بشخص
والتشفع إليه به أن لا يكون عبده ولا اتخذه إلهاً ورباً من دون الله
ولا جعله شريكاً في الألوهية ومن جعل التوسل بشخص مثل
هؤلاء^(١) فهو من جهله وسوء فهمه وعدم تعقله ما يقول ومثل هذا
لا يحل لأحد أن يقلده ولا ينظر في كلامه إلا من له رتبة التمييز
بين الحق والباطل وإلا هلك وهو لا يشعر . وقد قال عليه الصلاة
والسلام : (حياتى خير لكم ومماتى خير لكم) قالوا يا رسول
الله قد عرفنا أن حياتك خير لنا فكيف وفاتك خير لنا قال : (أما
حياتى فإنكم كلما أحدثتم حدثاً أحدث الله لكم المخرج منه بى فإذا
مت فلا أزال أنادى من قبرى ربى أمتى حتى ينفخ فى الصور ثم
لا أزال أجاب أربعين سنة حتى ينفخ الأخرى وتعرض على
أعمالكم فما كان من حسن شكرت الله عليه وما كان من سئ دعوت
الله أن يغفره) رواه الإمام العلامة هبة الله فى كتابه توثيق عرى
الإيمان ورواه غيره فهو عليه الصلاة والسلام رحمة لنا فى حياته
وبعد وفاته فكيف لا يتوسل به إليه ولا نعمل البزل والقناعيس نحوه
وإليه وذلك مما أجمع أهل التوحيد عليه وأجمعوا على تكفير من
قال بخلاف ذلك صرح به أئمة الأمة وأولهم مالك وكان ابن تيمية

(١) هنا محذوف هو المفعول الثانى لجعل تقديره شركاً كاليستقيم الكلام ١ هـ مصححه

ممن يعتقد ويفتى بأن شد الرجال إلى قبور الأنبياء حرام لا تقصر فيه الصلاة ويصرح بقبر الخليل وقبر النبي ﷺ وجاء بریدی من مصر باعتقاله على ذلك فاعتقل وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيم الجوزية الزرعي وإسماعيل ابن كثير الشوكيني فاتفق أن ابن القيم الجوزية سافر إلى القدس الشريف ورقى على منبر في الحرم ووعظ وقال في أثناء وعظه بعد أن ذكر المسألة وقال هأنا راجع ولا أزور الخليل ثم جاء إلى نابلس وعمل له مجلس وعظ وذكر المسألة بعينها حتى قال فلا يزور قبر النبي ﷺ فقام إليه الناس وأرادوا قتله فحماء منهم وإلى نابلس وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرفون صورة ما وقع منه فطلبه القاضي المالكي فتردد وصعد إلى الصالحية إلى القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي وأسلم على يديه فقبل ثوبته وحكم بإسلامه وحقن دمه ولم يعزره لأجل ابن تيمية . ولما كان يوم الجمعة رابع شعبان جلس القاضي جلال الدين بعد العصر بالمدرسة العادلية واحضر جماعة من جماعة ابن تيمية كانوا معتقلين في سجن الشرع فادعى على إسماعيل بن كثير صاحب التاريخ أنه قال إن التوراة والإنجيل ما بدلا وإنهما بحالهما كما أنزلا وشهدوا عليه بذلك وثبت في وجهه فعزر في المجلس بالدرة وأخرج وطيف به ونودى عليه بما قاله ثم أحضر ابن قيم الجوزية وادعى عليه بما قاله في القدس الشريف وفي نابلس فأنكر فقامت عليه البينة بما قاله فادب وحمل على جمل ثم أعيدوا في السجن ولما كان يوم الأربعاء أحضر ابن قيم الجوزية إلى مجلس شمس الدين المالكي وأرادوا ضرب عنقه (١) فما كان

(١) هذه قيمة ابن القيم يراها القارئ مجسمة أمامه في هذا السياق فليعرفها ولا يغتر اهـ

جوابه إلا أن قال أن القاضي الحنبلى حكم بحقن دمي وبإسلامي وقبول توبتي فأعيد إلى الحبس إلى أن أحضر الحنبلى فأخبر بما قاله فأحضر وعذر وضرب بالدرة وأركب حماراً وطيف به في البلد والصالحية وردوه إلى الحبس ولم يزل هذا في أتباعه وحضر شخص إلى دمشق يقال له أحمد الظاهري وكان قد حفظ آيات المتشابه وأحاديثه فكان يسردها على العوام وآحاد الناس من الفقهاء فعظمه أتباع ابن تيمية وأكرموه . ثم أنه توجه إلى القاهرة فشرع يسرد الآيات والأحاديث فعلم به الإمام العلامة الشيخ سراج الدين البلقيني فطلبه ، وأعلم به برقوق فأخذه وقيده وكانوا يضربونه بالسياط أول النهار ثم يستعملونه في العمارة فإذا كان آخر النهار أعادوا عليه الضرب ثم بلغني أن آخر الأمر أن ضربوا عنقه وكان الشيخ زين الدين بن رجب الحنبلى ممن يعتقد كفر ابن تيمية وله عليه الرد وكان يقول بأعلى صوته في بعض المجالس معذور السبكي يعنى في تكفيره والحاصل أنه وأتباعه من الغلاة في التشبيه والتجسيم والازدراء بالنبي ﷺ . وبغض الشيخين وإنكار الأبدال الذين هم خلفوا الأنبياء ولهم دواهي أخر لو نطقوا بها لأحرقهم الناس في لحظة واحدة فنسأل الله تعالى العافية ودوامها إنه على ما يشاء قدير . وبالإجابة جدير : (وجرسوا) ابن القيم وابن كثير وطيف بهما في البلد وعلى باب الجوزية لفتواهم في مسألة الطلاق والله أعلم .

واعلم أنى اقتصرت على الكلام على هذه الفتوى لإشاعتها بين العوام وفيها التعريض لمنع الوسيلة ومنع شد الرحال إلى قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدلالة لما قاله بالتجسير

دفع شبه من شبه وتمرد

والتموهيات التى بينا بطلانها وفسادها وأن ذلك من أظهر الأمور على فجوره فى النقل والإغراء وأن لا يحل أن يقلده ولا يأخذ عنه ولا ينظر فى كلامه ولا يسمعه إلا من يكون له رتبة التمييز بين الحق والباطل وإلا هلك وهو لا يشعر^(١) ثم من الأمور المهمة المقربة إلى الله ﷻ وإلى رسوله وإلى وزيريه صلى الله عليه وسلم بسط الألسن والأيدى فيهم جرياً على ما درج عليه العلماء والسلطين منذ أثار هذا الخبيث هذه الخبائث ، وأن يعلن بالتوسل بسيد الأولين والآخرين وأن يعتنى بإظهار شد الرحال وإعمال المطى والأقدام إلى خير خلقه وحبیب القلوب . ومن بذكره تتجلى الكروب . ويهتز الطروب . وبالصلاة والسلام عليه تذهب الذنوب . التى بسببها حصل الإبعاد عن المزار . وبعد الدار . روى زيد ابن أسلم أن عمر خرج ليلة يحرس فرأى مصباحاً فى بيت وإذا عجوز تتفش صوفاً وتقول :

على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواماً بكاء فى الأسفار ياليت شعرى والمنيا أطوار
هل تجمعنى وحبیب^(٢) الدار

تعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجلس عمر
رضى الله عنه يبكى شوقاً إلى حبيبته رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) هذا حكم من هذا الإمام الكبير على كل من يتبع ابن تيمية بأنه هالك فى دينه . وانظر معنى الهلاك فى مثل هذا المقام ومن هنا نحن نرثى لإخواننا الموجودين والغابرين الذين اغتروا بهذا الرجل المسكين ووراءه ساروا وكان بوننا أن يرى إخواننا الموجودين هذا الكتاب ليعرفوا منه قيمة هذا الرجل ثم بعد ذلك ينظروا لأنفسهم والحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه اهـ مصححه

(٢) وحبیبى اهـ مصححه

وسلم وتتصعد أنفاسه من نار الشوق لولا دموع المحبين تطفئ
نار الشوق لا احترقت أكبادهم بأنفاسهم :

يا خليلي قد بلغت القصد وعرفت الغرام هزلاً وجدا
خلياني من ذكر سلمي ونجد ودعاني من حب سلمي وسعدى
أنا لى فى حشاشتى حب بدر أقسم الدهر أنه لا يبدى
نار وجدى بحبه فى ازدياد وغرامى به تزايد جدا
كلما رمت أن نفسى عنه نتسلى أبت ولا تنهدى
وتراها إذا ترنم حاد برباها تنوب شوقاً ووجدا
لا تلمها إذا بدت بحنين وأنين يقد ذا القلب قدا
فلها معهد وأنس قديم ليس يفنى وإن تطاول عهدا

كان الصديق رضى الله عنه من المشغوفين بمحبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم . قال سيف بن عمر وكان سبب موت
الصديق رضى الله عنه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمدا
عليه فما زال جسمه يتحرق حتى مات والكمد الحزن المكتوم :
(١) كنت السواد لناظري . وعليك كنت أحاذر
من شاء بعدك فليمت فعليك يبكى الناظر

(١) أحفظ هذين البيتين هكذا

كنت السواد لناظري فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد العالمين وعلى آله خير أمة أخرجت للناس وعلى
تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين انتهت هذه التعليقات فى اليوم الثامن عشر من شهر رجب سنة
١٣٥٠هـ على يد كاتبها الذى يرجو قارئها دعوة صالحة أن رأى فيها خيراً ونحن جميعاً نبتهل
إلى ربنا الغفور الرحيم الشكور الكريم أن يفرغ غيوث رحماته وكراماته على جدث يضم هذا
الرجل الغيور على دينه القائم فى نصره كالأسد يزود عن عرينه الإمام أبا بكر تقى الدين الحصنى
وأن يجمعنا معه فى دار كرامته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم أمين .

والحمد لله أولاً وآخراً . وباطناً وظاهراً . والحمد لله رب العالمين
وصلّى الله على سيد الأولين والآخرين وأكرم
السابقين واللاحقين ورضى الله عن الصديقين
والصحابّة أجمعين وعن التابعين
لهم بإحسان إلى يوم الدين
آمين آمين

﴿ ترحم الله وعونه ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق من اختاره من عباده لنشر السنة وتأييدها بالحجة الواضحة وإماتة البدعة وتفنيدها بالحجج الناصعة والصلاة والسلام على حضرة سيد الخلق النبى الأُمى العربى القرشى الذى أوتى جوامع الكلم والبراهين القاطعة .

(أما بعد) فقد تم بحمد الله تعالى وحُسن معونته طبع هذا الكتاب المسمى (دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد) لمؤلفه الإمام الكبير والعلم الشهير ناصر السنة ومحارب البدعة الإمام تقي الدين أبى بكر الحصنى الدمشقى المتوفى سنة ٨٢٩ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية وهو الكتاب الذى يجب أن تُشَدَّ فى طلبه الرجال خصوصاً فى هذا الزمن الذى كثرت فيه طوائف الإلحاد وصاروا يحرفون الكلم عن مواضعه كأنهم الذين قال الله تعالى فى حقهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فجزى الله المؤلف والذين قاموا بنشره خير الجزاء .

فهرس الكتاب

﴿ محتويات كتاب دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد للإمام العلامة تقي الدين أبي بكر الحصني ﴾

صفحة	الموضوع
٨	كلمة
٨	قول صاحب الأصل كيف ظفرنا بهذا الكتاب النادر وبيان سبب تأليفه .
١٠	قول المصنف سبب وضعي لهذه الأحرف اليسيرة .
١١	بيان أن الإمام أحمد مؤول .
١٣	بيان أن ابن حامد وتلميذه القاضي والزاغوني وغيرهم من الحنابلة قد بالغوا في الافتراء بما يقشعر من ذكره الجسد مع ما قاله أبو الفرج بن الجوزي فيهم .
١٦	أدلة كثيرة من آيات وأحاديث قاضية بالكون السفلي دون العلوي .
١٨	بيان أن الاستواء في اللغة على معان كثيرة وكلام الإمام مالك للسائل عن ذلك .
٢١	ذكر ابن الجوزي ما تشبثت به مشبهة الحنابلة من الآيات والأحاديث ورده عليهم .
٣١	بيان أجوبة الشافعي وأبي حنيفة ومالك رحمهم الله تعالى عما يفيد التشبيه وأنهم متفقون في العقيدة .
٣٣	جواب بعض أئمة السلف عن قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى "
٣٤	قول البغداديين في تفسير قوله تعالى " بديع السموات " الآية
٣٤	جواب يحيى بن معاذ الرازي عما يفيد التشبيه وأنه أخذه من قصة سيدنا موسى <small>عليه السلام</small> مع فرعون .
٣٦	قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى : " وما يؤمن أكثرهم بالله " الآية .

الموضوع	صفحة
الكلام على قوله تعالى " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة " الآية	٣٧
قول محمد بن المنكدر الفقيه يدخل بين الله وبين عباده .	٤٠
قول حذيفة قال عمر ؓ أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن الحديث .	٤٠
ظهور المغيرة بن سعيد الساحر في أواخر القرن الأول وضلاله في التجسيم وغيره .	٤٣
ظهور محمد بن كرام السجستاني المشبه وكيف كان يخدع العوام .	٤٤
الكلام على قوله تعالى " وأن هذا صراطي مستقيما " الآية	٤٦
الكلام على من وقر صاحب بدعة وبش في وجهه وبيام طلب التحذير منه	٤٧
إرادة المصنف الاختصار على ما كتب ثم رؤيته لزوم الرد على أهل التشبيه والتجسيم بسبب تغرير زعمائهم بالعامّة وتلبيس زعيمهم الأكبر بن تيمية على الناس	٥٣
نسخة المرسوم السلطاني من المرحوم السلطان محمد ابن قلاون بحبس ابن تيمية .	٦٠
قول ابن تيمية في الاستواء ووثوب الناس عليه في مجلسه	٦٥
تناقض ابن تيمية	٦٦
ما ذكره ابن شاکر صاحب عيون التواريخ في ابن تيمية وتكرار الأمر بحبسه	٦٨
افتاء علماء المذاهب الأربعة بكفر ابن تيمية	٧٠
كلام أبي حيان النحوى الأندلسى في تفسيره عما رأى من كلام ابن تيمية	٧٣
بيان أن ابن تيمية لا يتبع إلا المتشابه	٧٥

صفحة	الموضوع
٧٦	كلام سيدنا على رضى الله تعالى عنه فى التوحيد والعدل
٧٦	كلام سيدنا جعفر الصادق <small>عليه السلام</small> على قوله تعالى " قل هو الله أحد " الآية
٧٧	كلام العلامة أبى الحسن الدينورى عن الاستدلال بالشاهد على الغائب
٧٨	كلام ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على قوله تعالى : " ليس كمثل شئ "
٨٣	ههنا فائدة جلية تنفع المنزه والمشبه
٨٣	مرور ابن أدهم على سكران
٨٤	ما يروى عن سيدنا على <small>عليه السلام</small> وكرم وجهه فى تفسير الروح
٨٧	جواب أبى الحسن الأشعري عن التوحيد نظماً
٩٠	الرد على ابن تيمية فى قوله بفناء النار
٩٢	الرد على ابن تيمية فى قوله بقدوم العالم
٩٣	تكذيب ابن تيمية الخبيث النبى <small>صلى الله عليه وسلم</small> فيما يروى عن نبوته
٩٤	تسفيه ابن تيمية الإمام أحمد فى مسألة الطلاق وخبثه فى مسألة الأفضلية بين مكة والمدينة
٩٥	رمز ابن تيمية إلى تكفير الصديق رضى الله تعالى عنه
٩٩	من قبائح ابن تيمية التفرقة بين حياة النبى ووفاته <small>صلى الله عليه وسلم</small>
١٠٣	بيان زيغ ابن تيمية فى جواب الفتوى التى زعم أنه سئل عنها
١٠٤	ذكر نبذة مما عظم الله تعالى به نبيه الكريم
١١٠	مناظرة أمير المؤمنين أبى جعفر الإمام مالكا وكلام الإمام له
١١٢	ما ذكره القرطبى عن سيدنا على عن مجئ الأعرابى بعد انتقال النبى <small>صلى الله عليه وسلم</small> بثلاثة أيام

صفحة	الموضوع
١١٥	قصة أبي عبد الله الفرحي مع الراهبين
١١٧	قوب سفيان الثوري بينما أنا أطوف بالبيت
١١٩	قول الضرير الذي جاء إلى النبي ﷺ وتوسله به
١٢١	" الفصل الثاني " في حرمة النبي ﷺ وتعظيمه وتوقيره بعد وفاته وانجاده المعوزين والمستغِيثين به ﷺ
١٢٩	ما يتعلق بالصديق والفاروق من الفضائل رضى الله عنهما
١٤١	من الأمور المنقذة على ابن تيمية جعله زيارة قبر النبي وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصية
١٤٢	فصل في زيارة قبره الشريف ﷺ وفي بيان كيفية السلام عليه والرد على ابن تيمية
١٤٥	كلام الإمام النووي على حديث لا تشد الرحال إلخ
١٤٦	كلام ابن قدامة الحنبلي في زيارة القبور والمشاهد مطلقاً
١٤٧	ورود حديث لا تشد الرحال إلخ بألفاظ مختلفة
١٤٩	الكلام على معنى الحديث
١٥٣	شد بلال الرحال ﷺ لزيارة قبره الشريف ﷺ
١٥٤	إرسال عمر بن عبد العزيز ﷺ الرسل للمدينة المنورة لإقراء السلام على أشرف الخلق ﷺ وزيارة قبره الشريف
١٥٦	اتفاق المذاهب الأربعة على لزوم زيارة قبره الشريف ﷺ
١٦٠	ذكر بعض الأحاديث الواردة في زيارته ﷺ
١٦٥	ذكر حديث استدل به ابن تيمية على منع الزيارة لقبره الشريف والرد عليه وذكر شئ من معجزاته ﷺ
١٧٥	ذكر بعض أبيات في مدحه ﷺ
١٧٨	الكلام على قوله تعالى " ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " والرد على ابن تيمية فيها
١٧٩	شدوذ ابن القيم وغيره من تلاميذ ابن تيمية وتأديبهم
١٨٢	خاتمة في ذكر بعض أبيات في مدحه ﷺ تسليماً كثيراً

من التراث الكوثري

الناشر

المكتبة التخصصية للدراسات

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف - ت: ٢٥١٢٠٨٤٧

